ظاهرة

ضعف الغيرة

سعيد علي أحمد سعد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ظاهرة ضعف الغيرة

النسخة النهائية

طباعة

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

رقم الإيداع: ٢٠١٦/٣٣٧٧

رقم الإيداع: ٢٠١٦/٣٣٧٧

التاريخ: ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م

المكتبة الإسلامية

-الإدارة والفرع الرئيسي: ٣٣ ش صعب صالح-عين شمس الشرقية-القاهرة-جمهورية مصر العربية

هاتف: ٢٤٩٩١٢٥٤ /٢٤٩٠٦٠٦/فاكس ٢٤٩٠٨٠٨

-فرع الأزهر: ١ش البيطار خلف جامع الأزهر- درب الأتراك - ت: ٢٥١٠٨٠٤

E-mail : islamya٢٠٠٥ @hotmail.com

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

استهلال

«إن الله قد جعل في نفوس بني آدم من الغيرة ما هو معروف، فيستعظم الرجل أن يطأ الرجل امرأته أعظم من غيرته علىٰ نفسه أن يزني، فإذا لم يكره أن تكون زوجته بغيًّا وهو ديوث؛ كيف يكره أن يكون هو زانيًا».

شيخ الإسلام ابن تيمية

«مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٢٠)

أصـــون عرضـــي بمـــالي لا أدنـــسه ... لا بـــارك الله بعـــد العـــرض في المـــال

أحتـــال للمـــال إن أودىٰ فأجمعـــه ... ولـــست للعـــرض إن أودىٰ بمحتـــال

حسان بن ثابت

شرح ديوان الحماسة (ص: ١١٨٤)

«إن كثيرًا ممن تشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة الغيرة على سرعة الإيقاع والعقوبة من غير إعذار منه، ومن غير قبول لعذر من اعتذر إليه، بل يكون له في نفس الأمر عذر، ولا تدعه شدة الغيرة أن يقبل عذره، وكثير ممن يقبل المعاذير يحمله على قبولها قلة الغيرة حتى يتوسع في طرق المعاذير، ويرى عذرًا ما ليس بعذر، حتى يعتذر كثير منهم بالقدر، وكل منهما غير ممدوح على الإطلاق».

ابن القيم

«الداء والدواء» (٦٧)

«كل أمة وضعت الغيرة في رجالها؛ وضعت العفة في نسائها».

الراغب الأصفهاني

«الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص٢٤٤)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«ما يدخل أحد بلاد الروم إلا وقد طابت نفسه باتخاذ امرأته الأصدقاء، وزال عما كان عليه، وامَّحت الغيرة من قلبه، وزالت عنه الحمية وما كان عليه وهو مسلم».

أبو الفتح البستي

«تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٧٢)

«من اسْتُغْضِب فلم يَغْضَب فهو حمار، ومن اسْتُرضِيَ فلم يَرْضَ فهو شيطان».

الإمام الشافعي

«الأذكار» للنووي (ص: ٣٤٧)

«وشأن هؤلاء زال الورع وطوي بساطه، واشتد الطمع وقوي رباطه، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، وعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا إلى ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان».

الإمام القشيري

«الرسالة القشيرية» (١/ ١٦)

نـــاري ونـــار الجـــار واحـــد ... وإليـــه قبلـــى تنـــزل القـــدر
مـــا ضـــر جـــاري إذ أجـــاوره ... ألا يكـــــون لبيتـــــه ســـــتر
أعمـــىٰ إذا مـــا جـــارتى خرجـــت ... حتـــىٰ يـــواري جـــارتى الخـــدر
ويـــصم عمـــا كـــان بينهمـــا ... ســـمعى ومـــا بـــى غيـــره وقـــر

مسكين الدارمي

«المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» (٢/ ٢٨)

نـــاري ونـــار الجـــار واحـــدة ... وإليـــه قبلـــي تنـــزل القـــدر
مـــا ضـــر جـــاري إذ أجـــاوره ... ألا يكـــــون لبيتـــــه ســـــتر
أعمـــىٰ إذا مـــا جـــارتي خرجـــت ... حتـــىٰ يـــواري جـــارتي الخـــدر
ويـــصم عمـــا كـــان بينهمـــا ... ســـمعي ومـــا بـــي غيـــره وقـــر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

الغَيْرة غريزة فطرية، وصفة ربانية، وسجية نبوية، وخلق محمود، وصفة حسنة. لقد كانت الغيرة أمرًا مهمًّا حتىٰ في الجاهلية قبل الإسلام، حتىٰ وصل بهم الغلو في هذا الأمر إلىٰ أن كانت تدفن البنت وهي حية خوفًا من أن تفعل الفاحشة إذا كبرت، حتىٰ قال شاعرهم يبين حماية الرجل لمحارمه:

منعمة ما يستطاع كلامها ... علىٰ بابها من أن تزار رقيب[1]

والغيرة هي السياج المعنوي لحماية الحجاب، ودفع التبرج والسفور والإختلاط.

والغيرة هي: ما ركَّبه الله في العبد من قوة روحية تحمي المحارم والشرف والعفاف من كل مجرم وغادر، وهي في الإسلام خلق محمود، وجهاد مشروع؛ لقول النبي ﷺ: «**إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه**» متفق عليه.

---

(١) مجلة البيان - عندما تموت الغيرة (٢١٣/ ٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فالحجاب باعث عظيم علىٰ تنمية الغيرة علىٰ المحارم أن تنتهك، أو يُنال منها، وباعث علىٰ توارث هذا الخلق الرفيع في الأسر والذراري: غيرة النساء علىٰ أعراضهن وشرفهن، وغيرة أوليائهن عليهن، وغيرة المؤمنين علىٰ محارم المؤمنين من أن تنال الحرمات، أو تخدش بما يجرح كرامتها وعفتها وطهارتها ولو بنظرة أجنبي إليها.

ولهذا صارت الدياثة ضد الغيرة وصار الديوث ضد الغيور. والديوث هو الذي يُقر الدنية في أهله ولا غيرة له عليهم، ولذا سَدَّ الشرع المطهر الأسباب الموصلة إلىٰ هتك الحجاب وإلىٰ الدياثة(١).

لقد أقر الإسلام هذا الخُلق وهذَّبه، وضبطه بضوابط الشرع.

والغيرة تكريم للمرأة، وحفظ لها من العابثين المفسدين، لا كما تظن بعض النساء الجاهلات أنه تضييق عليها، وتحكم في تصرفاتها. كما أنه من حقوق الزوجة علىٰ زوجها أن يغار عليها، وأن يحميها؛ وذلك دليل علىٰ صدق حبه لها.

وإن أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغيرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقىٰ عندها دفع البتة، ومثل الغيرة في القلب مثل القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداء المحل قابلًا، ولم يجد دافعًا فتمكن فكان الهلاك، ومثلها مثل صياصي الجاموس- أَي قُرونها- التي يدفع بها عن نفسه وولده، فإذا تكسرت طمع فيه عدوه(٢).

وإن من مقاصد الشريعة حفظ العرض، ورتب علىٰ ذلك أن جعل لها سياجًا محكمًا تصان به الأعراض ألا وهو الغيرة، فقد حثت السنة علىٰ الغيرة علىٰ الأعراض، وأوجبت الدفاع عنها في كثير من المواضع، وزجرت الذي يرضىٰ بالفساد زجرًا شديدًا، فقد قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدًا: الديوث، والرجلة من النساء، ومدمن الخمر**». فقالوا: يا رسول الله، أما مدمن الخمر فقد عرفناه، فما الديوث؟ قال: «**الذي لا يبالي من دخل علىٰ أهله**». قيل: فما الرجلة من النساء؟ قال: «**التي تشبه بالرجال**». رواه الطبراني،

(١) «حراسة الفضيلة» الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص٨٧).

(٢) «الداء والدواء» ابن القيم (ص١٦٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وروىٰ مثله النسائي، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

يقول شيخ الإسلام:

فإن الله قد جعل في نفوس بني آدم من الغيرة ما هو معروف فيستعظم الرجل أن يطأ الرجل امرأته أعظم من غيرته علىٰ نفسه أن يزني، فإذا لم يكره أن تكون زوجته بغيًا وهو ديوث كيف يكره أن يكون هو زان، ولهذا لم يوجد من هو ديوث أو قواد يعف عن الزنا، فإن الزاني له شهوة في نفسه والديوث ليس له شهوة في زنا غيره، فإذا لم يكن معه إيمان يكره به زنا غيره بزوجته كيف يكون معه إيمان يمنعه من الزنا، فمن استحل أن يترك امرأته تزني استحل أعظم الزنا، ومن أعان علىٰ ذلك فهو كالزاني، ومن أقر علىٰ ذلك مع إمكان تغييره فقد رضيه، ومن تزوج غير تائبة فقد رضي أن تزني إذ لا يمكنه منعها من ذلك، فإن كيد النساء عظيم[١].

ومن رعاية الشريعة لحظ الغيرة أنها حظرت علىٰ المرأة المتوفىٰ عنها زوجها أن تبادر بمفاجأة أهله المكلومين بالتزوج بغير المتوفىٰ، حرصًا علىٰ نفوسهم من التألم بآلام الغيرة، فقدر لها أقل مدة يسهل فيها علىٰ نفوس أهل الميت أن تتزوج امرأته بغيره.

ومن ذلك أيضًا أن الشريعة حرمت القذف بالزنا صيانة للأعراض وحفظًا لها وغيرة عليها، لأن القذف بالزنا فيه من العار بدناءة النفس، وهتك الستر، وافتضاح السوءات، وانتهاك الحرمات، والدلالة علىٰ عدم الغيرة، الذي هو من سمات أخس الحيوانات، ما قرف به كل الموبقات، فإن كان المرمي به امرأة كان فيه من جلب العار علىٰ قومها، ما يؤدي إلىٰ سفك الدماء. وقلما يغسل ذلك العار إلا بسفك الدماء، وإن كان المَرْمي به رجلًا، كان فيه الدلالة علىٰ أنه ليس للعرض في نظره كرامة، ولا للغيرة علىٰ نفسه سلطان، وكان أمارة علىٰ أنه لو أصيب بما أصاب به الناس لاعتبره أمرًا عاديًّا، لا تثور للغيرة له نفسه، ولا يغلي له دمه، ولذلك قيل: لا يزني غيور، وكفىٰ بهذا عارًا وعيبًا يلحق الأبناء والأحفاد، وتبقىٰ سيرته طوال الأحقاب[٢].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٢٠).

(٢) «الفقه على المذاهب الأربعة» (٥/ ١٩٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا كانت قواعد الإسلام مبنية علىٰ الغيرة علىٰ الأعراض واحتقار الديوث وحرمانه من رضوان الله، علمنا أن منزلة الغيرة وأهميتها في الشريعة الإسلامية، إذ الأعراض غالية ثمينة عند أصحابها- أهل الغيرة والعفة، فهم يبذلون الغالي والنفيس في الحفاظ علىٰ أعراضهم، بل قد يبذلون أرواحهم؛ لقد أخبر رسول الله ﷺ أن من قُتل وهو يدافع عن أهله وعرضه أنه شهيد، قال ﷺ: «**من قتل دون عرضه فهو شهيد**».

لقد حمد الإسلام الغيرة وشجع المسلمين عليها، ذلك أنها إذا تمكنت في النفوس كان المجتمع كالطود الشامخ حمية ودفاعًا عن الأعراض، والمؤمن الحق غيور بلا شطط يغار علىٰ محارم الله أن تنتهك، وفي الحديث الشريف أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال كلامًا بين يدي رسول الله ﷺ دل علىٰ غيرته الشديدة، فقال الرسول ﷺ: «**أتعجبون من غيرة سعد، لأنا أغير منه، والله أغير مني**» هذه هي الغيرة، غيرة الإسلام علىٰ المحارم والأعراض، المنبثقة من غيرة رب العباد، والمتمثلة في خاتم المرسلين، وهي ليست بخافية علىٰ أحد من الناس، قال تعالىٰ: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣] .

وضعف الغيرة نقيصة تنزل بصاحبها إلىٰ الحضيض، وكذلك ينبغي للإنسان أن يملك الغيرة عند ثورتها، فلا يخرج في معاملة المنتهك لحرمة الحق عن حدود العدل، فالذي يغار علىٰ أمر جعل الشارع لمنتهكه حدًّا مفروضًا، لا يحلُّ له أن يتجاوز ما حدَّه الشارع استرسالًا مع طغيانها، فإن كان الجزاء موكولًا لاجتهاد القاضي اجتزأ القاضي بالمقدار الذي يكفي للردع؛ وليس من الغيرة المحمودة أن يتعدَّىٰ في جزاء السيئة ما يكفي للزجر عن اقترافها، والغيرة الصادقة هي التي تنهض بصاحبها إلىٰ مكافحة المبطل أو المفسد، وتقويم عِوجه في تثبتٍ وحزم.

يقول أبو حامد الغزالي:

وأما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة، واحتمال الذل من الأخساء، وصغر النفس والقماءة، وهو أيضًا مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة علىٰ الحرام، وهو خنوثة، قال ﷺ: إن سعدًا لغيور، وأنا أغير من سعد، وإن الله أغير مني[(١)].

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٦٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأخرج أحمد والشيخان والترمذي: «**لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ومن أجل ذلك أنزل الكتب وأرسل الرسل**»(١).

يقول الإمام ابن القيم:

فجمع في هذا الحديث بين الغيرة التي أصلها كراهة القبائح وبغضها، وبين محبة العذر الذي يوجب كمال العدل والرحمة والإحسان، والله سبحانه -مع شدة غيرته- يحب أن يعتذر إليه عبده، ويقبل عذر من اعتذر إليه، وأنه لا يؤاخذ عبيده بارتكاب ما يغار من ارتكابه حتىٰ يعذر إليهم، ولأجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه إعذارًا وإنذارًا، وهذا غاية المجد والإحسان، ونهاية الكمال.

فإن كثيرًا ممن تشتد غيرته من المخلوقين تحمله شدة الغيرة علىٰ سرعة الإيقاع والعقوبة من غير إعذار منه، ومن غير قبول لعذر من اعتذر إليه، بل يكون له في نفس الأمر عذر ولا تدعه شدة الغيرة أن يقبل عذره، وكثير ممن يقبل المعاذير يحمله علىٰ قبولها قلة الغيرة حتىٰ يتوسع في طرق المعاذير، ويرىٰ عذرًا ما ليس بعذر، حتىٰ يعتذر كثير منهم بالقدر، وكل منهما غير ممدوح علىٰ الإطلاق.

وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن من الغيرة ما يحبها الله، ومنها ما يبغضها الله، فالتي يبغضها الله الغيرة من غير ريبة**». وذكر الحديث.

وإنما الممدوح اقتران الغيرة بالعذر، فيغار في محل الغيرة، ويعذر في موضع العذر، ومن كان هكذا فهو الممدوح حقًّا(٢).

يقول الإمام الغزالي:

فمن مال غضبه إلىٰ الفتور حتىٰ أحس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في غير محله فينبغي أن يعالج نفسه حتىٰ يقوىٰ غضبه، كمن يقصد حريمه بشهوة

---

(١) «صحيح البخاري» (٦/ ٥٧).

(٢) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء (ص٦٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محظورة فتهيج غيرته فيصبر عن إظهاره الغيرة ويسكت علىٰ ما يجري علىٰ أهله، فهذا الصبر محرم، ومن مال غضبه إلىٰ الإفراط حتىٰ جره إلىٰ التهور واقتحام الفواحش فينبغي أن يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف علىٰ الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو أرق من الشعرة وأحد من السيف، فإن عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالىٰ: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء: ١٢٩]، فليس كل من عجز عن الإتيان بالخير كله ينبغي أن يأتي بالشر كله، ولكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الخير أرفع من بعض(١).

وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة، فالمؤمن الذي يغار في محل الغيرة قد وافق ربه في صفة من صفاته، ومن وافقه في صفة منها قادته تلك الصفة بزمامه وأدخلته عليه وأدنته منه وقربته من رحمته، ومن الغيرة غيرة العلماء لمقام الوراثة وهو مقام العلم(٢).

وكتبه بفضل الغنيِّ

أبو بشير السعديُّ

كان الفراغ منه ليلة الجمعة

الثاني والعشرين من شهر جمادي الأولي ١٤٣٧ هـ.

بريد الكتروني: elsaaedy@gmail.com

محمول/ ٠٠٢٠١١٥٥٣٠٩٣٠٩

(١) «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٦٩).

(٢) «فيض القدير»، للمناوي (٦/ ٢٥٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل

مفهوم الغيرة ومقاصدها وأنواعها

الغيرة لغة:

الغَيْرة بالفتح المصدر، من قولك: غار الرجل علىٰ أَهْلِه، قال ابن سيده: وغار الرجل علىٰ امرأته، والمرأة علىٰ بَعْلها، تَغار غَيْرة وغَيْرًا وغارًا وغِيارًا .

الغيرة اصطلاحًا:

هي كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه، وقال الجرجاني: الغيرة كراهة شركة الغير في حقه(١).

وقال ابن حزم:

الغيرة: خلق فاضل متركب من النجدة والعدل، لأن من عدل كره أن يتعدىٰ إلىٰ حرمة غيره وأن يتعدىٰ غيره علىٰ حرمته، ومن كانت النجدة له طبعًا حدثت فيه عزة، ومن العزة الأنفة من الاهتضام، إذا ارتفعت ارتفعت المحبة(٢).

قال النووي:

الغيرة بفتح الغين وأصلها المنع، والرجل غيور علىٰ أهله، أي: يمنعهم من التعلق بأجنبي بنظر أو حديث أو غيره.

قال الراغب الأصفهاني:

الغيرة هي ثوران الغضب حماية علىٰ أكرم الحرم، وأكثر ما تراعىٰ في النساء. وأصلها من الأنفة والحمية، وقيل: المنع؛ لأن الرجل الغيور يمنع أهله من التعلق برجل أجنبي بنظر، أو غيره.

وجعل الله سبحانه هذه القوة في الإنسان سببًا لصيانة الماء وحفظًا للإنسان، ولذلك

---

(١) «النهاية» لابن الأثير (٣/ ٤٠٠- ٤٠١)، «لسان العرب» (٥/ ٤١- ٤٢).

(٢) «رسائل ابن حزم» (١/ ٥٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت العفة في نسائها، وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانته(١).

قال القاضي عياض:

هي مشتقة من تغير القلب، وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين(٢).

قال العلَّامة بكر أبو زيد في كتابه القيِّم «حراسة الفضيلة» :

الغيرة هي ما ركبه الله في العبد من قوة روحية، تحمي المحارم والشرف والعفاف من كل مجرم وغادر(٣).

وهي خلق فاضل متركب من النجدة والعدل، لأن من عدل كره أن يتعدىٰ إلىٰ حرمة غيره، وأن يتعدىٰ غيره إلىٰ حرمته، ومن كانت النجدة طبعًا له حدثت فيه عزة، ومن العزة تحدث الأنفة من الاهتضام(٤).

فمتىٰ نظر الإنسانُ أو تدبر أمرًا، ووقف بأنه حقيقة أو مصلحة، وجدَ في نفسه ارتياحًا عندما يلاقي شخصًا يشاركه في الشعور به، ويكون ارتياحه أشد حيث يراه يعمل علىٰ مقتضىٰ هذا الشعور، كما أنه يتألم حينما يشاهد أمرًا ينكر تلك الحقيقة أو المصلحة، ويكون تألمه أشد حيث يراه مجدًّا في مناوأتها، سالكًا غير سبيلها، وهذا التألم الذي يشتدُّ فيدفعك إلىٰ أن تسهب في إيضاح وجه الحقيقة أو المصلحة، أو تعمل علىٰ أن تكفَّ يد من يبغي عليها ما أمكنك، هو ما نعنيه بالغيرة(٥).

هذا وقد جعل الله سبحانه هذه القوة -الغيرة- في الإنسان سببًا لصيانة الماء وحفظًا للإنسان، وقد يستعمل ذلك في صيانة كل ما يلزم الإنسان صيانته في السياسات الثلاث التي هي: سياسة الرجل نفسه، وسياسة منزله وأهله، وسياسة مدينته وضيعته.

---

(١) «رسائل ابن حزم» (١/ ٥٧).

(٢) «لسان العرب وتاج العروس»، و«فتح الباري» (٩ / ٣٢٠).

(٣) «حراسة الفضيلة» الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد (ص٨٧).

(٤) ابن حزم، «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» (ص٥٥).

(٥) «الغيرة على الحقائق والمصالح»، محمد الخضر حسين (ت:١٣٧٧هـ) نشر عام ١٣٤٩هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذلك قيل: ليست الغيرة ذب الرجل عن امرأته؛ ولكن ذبه عن كل مختص به، وقد قيل: الغيرة الذب عن كل ضعيف، وتسمىٰ كراهية النعمة عند من لا يستحقها غيرة، والغيرة وإن كانت من قوة الإنسانية وواجب كونها في كل جيل فقد كثرت في العرب خاصةً كثرة متناهية، حتىٰ إن من دخل دار أحدهم والتجأ إلىٰ فنائه عَدُّوا فِعْلَه حرمة وجوارًا وذمارًا، بل قالوا: تعلق الدلو بالدلو القريبة يوجب حرمة وجوارًا، بل كانوا يراعون ذلك في الوحشيات والهوام حتي سمي بعضهم: مجير الجراد، ومجير الغزال، ومجير الذئب، وسمي الغضب المقتضي للغيرة: الحفيظة، فيقال: أحفظني فلان، أي: أغضبني الغضب الذي أثار مني قوة الحفظ(١).

إن الغيرة أخص صفات الرجال الشُهُمُ الكرام، وإن تمكنها من الرجل يدل دلالة فعلية علىٰ رسوخه في مقام الرجولة الحقة الشريفة، ومن هنا كان كرام الرجال وأفذاذ الشجعان يُمتدَحون بالغيرة علىٰ نسائهم، والمحافظة عليهن، وإن من شر صفات السوء ضعف الغيرة وموت النخوة، ولا يركن إلىٰ ذلك إلا الأرذلون(٢).

إن أهمية الغيرة ومقصودها تبعث الرجل علىٰ الجهاد في الحق بأي وسيلة استطاعها، فالولي الغيور يذود عن الحق بما في يده من قوة، متىٰ كان الهاجم عليه في غشاوة تمنعه من أن يفقه الحجة، والعالم الغيور لا يفتأ يذبُّ عن الحقِّ بلسانه أو قلمه، ولا يسوقه طمع أو رهبة إلىٰ الخمول أو الصمت، وما خمول العالم وصمته سوىٰ قلة الثقة بما وعد الله به أنصار الحقِّ من فوز وحياة طيبة، والموسر الغيور ينفق في سبيل الإصلاح باليمين واليسار؛ ومن كان صافي البصيرة يرتاح لظهور الحقِّ، وقيام المصلحة العامة، أكثر مما يرتاح لأن يكنز ذهبًا، أو تكون له قصور فيحاء وحدائق غناء.

وإذا أردت أن تميِّز فاقد الغيرة علىٰ المصالح ممن يغارون عليها، فهو الذي يجري وراء منافعه الخاصة أينما رآها أو تخيَّلها؛ يراها بجانب مصلحة عامة، فيظهر في زيِّ الداعي إلىٰ هذه المصلحة، ويملأ الجو نداء للتعاون عليها، حتىٰ إذا تراءت له منفعة لا يصل إليها، إلا أن يقضي علىٰ ما ينفع الناس جميعًا، داسه بكلتا قدميه، وذهب إلىٰ منفعته توًّا لا يلوي علىٰ شيء.

---

(١) الراغب الأصفهاني، «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص٢٤٤).

(٢) «عودة الحجاب»، محمد إسماعيل المقدم (٢/ ٣٨٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد يسلك الرجل طريق العدل محافظة علىٰ المنصب، أو رغبة في حسن الأحدوثة، ولكن الغيرة علىٰ الحق هي التي تجعل الحاكم عادلًا في كل قضية؛ فالغيرة علىٰ الحق هي التي تقف بالقاضي في حدود الإنصاف، حين تُرفع إليه خصومة بين ذي سلطان وأشعث أغبر ذي طمرين، فلا يبالي أن ينصف ذا الطمرين، ويقضي علىٰ ذي السلطان، وكذلك يفعل القضاة العادلون.

ومن الخطر علىٰ الحقوق والمصالح أن يتولَّىٰ أمرها محروم من الغيرة عليها، وكم من حقٍّ أُهمل ومصلحة أُميتت، والسبب في إهمال ذاك، وإماتة هذه أن أُلقي أمرهما إلىٰ من لم يذق للغيرة عليهما طعمًا، ماذا يكون العمل في قضية الاعتداء علىٰ هتك عرض الفتاة، إذا أُسندت إلىٰ من تقلَّب في بيئة لا تعرف للعفاف سبيلًا؟ وماذا يكون العمل في قضية الاعتداء علىٰ الدين، إذا وُضعت بين يدي من لا يرىٰ له حرمة، ولا يرعىٰ للأمة التي تعتصم به ذمة؟

والغيرة ضرب من ضروب الأثرة، لا بد منه لحياطة الشرف، وصيانة العرض وهي مثار الحمية والحفيظة فيمن لا حمية ولا حفيظة له. وإنما تقبل -بل تجب- إذا خاف الرجل علىٰ شرفه أن ينثلم، وعرضه أن يهان. فأما أن تقتاد الرجل في كل آنة، وتفزعه في كل موطن، فهي خَبْل ووسواس، وأولىٰ بها أن تدني إليه الشر من حيث يتقيه. ولقد مُني العرب في جاهليتهم باتقاد الغيرة حتىٰ جاوزوا بها طورها. وحتىٰ قادت فريقًا منهم إلىٰ قذف زوجته في عرضها لهاجس اعتراه، أو خلجة من الشك نفذت إليه. فرفعوا خصومتهم، واحتكموا في أعراضهم إلىٰ فريق الكهان والكواهن كما في قصة هند بنت عتبة وزوجها الفاكه بن المغيرة، وهم بَشَر يقذفون الغيب برجم الظنون، فيخطئون ويصيبون.

وإن من أشد ضروب الوهم، وأفدح أثقال الظلم، أن ترىٰ العربي يريد السفر، فيعمد إلىٰ شجرة فيعقد بين غصنين منها، فإن عاد وكان الغصنان علىٰ حالهما، زعم أنها لم تخنه، وإلا فقد خانته. وذلك ما يسمونه بالرتيمة، كأن عرض المرأة، بل عرض الأسرة بل عرض الحي الذي نشأت المرأة بين ربوعه ودرجت بين مدارجه مُرْتَهن بغصنين تعصف بهما الريح، أو تعبث بهما الأيدي، فتفرق بينهما.

أما أسباب تلك الغيرة الموبقة فقد قطعها الإسلام، إلا أن تكون عن علم وبينة فأما حكم الرَّيب واحتكام الشبهات فذلك ما ليس من الدين في شيء.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد فرض الله -جل ذكره- علىٰ من رمىٰ امرأته في عرضها أن يشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فيما قال وادعىٰ. والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. فإن لم يصدع بتلك الشهادات الخمس، فعقوبته عقوبة قاذف المحصنات يجلد ثمانين جلدة، ولا تقبل له شهادة أبدًا، وهو عند الله من الفاسقين(١).

يقول العلَّامة بكر أبو زيد في كتابه القيِّم «حراسة الفضيلة»:

إن الغيرة شرعت لِتَثْبيتِ نساء المؤمنين علىٰ الفضيلة، وكشف دعاوىٰ المستغربين إلىٰ الرذيلة، إذ حياة المسلمين المتمسكين بدينهم اليوم المبنية علىٰ إقامة العبودية لله تعالىٰ وعلىٰ الطهر والعفاف والحياء والغيرة حياة محفوفة بالأخطار من كل جانب، بجلب أمراض الشبهات في الاعتقادات والعبادات، وأمراض الشهوات في السلوك والاجتماعيات، وتعميقها في حياة المسلمين في أسوأ مخطط مسخر لحرب الإسلام، وأسوأ مؤامرة علىٰ الأمة الإسلامية، تبناها: «النظام العالمي الجديد» في إطار نظرية الخلط -وهي المسماة في عصرنا: العولمة، أو الشوملة، أو الكوكبة- بين الحق والباطل، والمعروف والمنكر، والصالح والطالح، والسنة والبدعة، والسني والبدعي، والقرآن والكتب المنسوخة المحرفة كالتوراة والإنجيل، والمسجد والكنيسة، والمسلم والكافر، ووحدة الأديان، ونظرية الخلط هذه أنكىٰ مكيدة، لتذويب الدِّين في نفوس المؤمنين، وتحويل جماعة المسلمين إلىٰ سائمة تُسَام، وقطيع مهزوز اعتقادُه، غارق في شهواته، مستغرق في ملذَّاته، متبلد في إحساسه، لا يعرف معروفًا ولا يُنكر منكرًا، حتىٰ ينقلب منهم من غلبت عليه الشقاوة علىٰ عقبيه خاسرًا، ويرتد منهم من يرتد عن دينه بالتدريج.

كل هذا يجري باقتحام الولاء والبراء، وتَسريب الحب والبغض في الله، وإلجام الأقلام، وكفِّ الألسنة عن قول كلمة الحق، وصناعة الاتهامات لمن بقيت عنده بقية من خير، ورميه بلباس: الإرهاب والتطرف والغلو والرجعية، إلىٰ آخر ألقاب الذين كفروا للذين أسلموا، والذين استغربوا -أخذوا ثقافة الغرب- للذين آمنوا وثبتوا، والذين غلبوا علىٰ أمرهم للذين استُضعفوا.

---

(١) «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» (٢/ ٢٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومِن أشأم هذه المخاطر، وأشدِّها نفوذًا في تمييع الأمة، وإغراقها في شهواتها، وانحلال أخلاقها، سعيُ دعاة الفتنة الذين تولوا عن حماية الفضائل الإسلامية في نسائهم ونساء المؤمنين، إلىٰ مدارج الفتنة، وإشاعة الفاحشة ونشرها، وعدلوا عن حفظ نقاء الأعراض وحراستها إلىٰ زلزلتها عن مكانتها، وفتح أبواب الأطماع في اقتحامها، كل هذا من خلال الدعوات الآثمة، والشعارات المضللة باسم حقوق المرأة، وحريتها، ومساواتها بالرجل.. وهكذا، من دعوات في قوائم يطول شرحها، تناولوها بعقول صغيرة، وأفكار مريضة، يترجلون بالمناداة إليها في بلاد الإسلام، وفي المجتمعات المستقيمة لإسقاط الحجاب وخلعه، ونشر التبرج والسفور والعري والخلاعة والاختلاط، حتىٰ يقول لسان حال المرأة المتبرجة: (هَيْتَ لكم أيها الإباحيون)[1].

ومن مقاصد الغيرة:

١ - تقوية الإيمان بالله.

فأقوىٰ الناس دينًا أعظمهم غيرة، فالغيرة لدين الله أن يكره العبد ما يكرهه الله لدينه، ويغار إذا انتهك حقه وضيع أمره فهذه غيرة المحب حقًّا، والدين كله تحت هذه الغيرة، فمحب الله ورسوله يغار لله ورسوله علىٰ قدر محبته وإجلاله، وإذا خلا قلبه من الغيرة لله ولرسوله فهو من المحبة أخلىٰ، وإن زعم أنه من المحبين فكذب من ادعىٰ محبة محبوب من الناس وهو يرىٰ غيره ينتهك حرمة محبوبه ويسعىٰ في أذاه ومساخطه، ويستهين بحقه ويستخف بأمره وهو لا يغار لذلك، بل قلبه بارد، فكيف يصح لعبد أن يدعي محبة الله وهو لا يغار لمحارمه إذا انتهكت، ولا لحقوقه إذا ضيعت، وأقل الأقسام أن يغار له من نفسه وهواه وشيطانه فيغار لمحبوبه من تفريطه في حقه وارتكابه لمعصيته، وإذا ترحلت هذه الغيرة من القلب ترحلت منه المحبة بل ترحل منه الدين، وإن بقيت فيه آثاره وهذه الغيرة هي أصل الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي الحاملة علىٰ ذلك فإن خلت من القلب لم يجاهد ولم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر، فإنه إنما يأتي بذلك غيرة منه لربه، ولذلك جعل الله ﷻ علامة محبته ومحبوبيته

---

(١) «حراسة الفضيلة» (ص١٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجهاد، فقال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤ ﴾ [المائدة].

وأما الغيرة علىٰ المحبوب فإنما تحمد حيث يحمد الاختصاص بالمحبوب ويذم الاشتراك فيه شرعًا وعقلًا، كغيرة الإنسان علىٰ زوجته وأمته، والشيء الذي يختص هو به فيغار من تعرض غيره لذكره، ومشاركته له فيه، وهذه الغيرة تختص بالمخلوق، ولا تتصور في حق الخالق، بل المحب لربه يحب أن الناس كلهم يحبونه ويذكرونه ويعبدونه ويحمدونه، ولا شيء أقر لعينه من ذلك، بل هو يدعو إلىٰ ذلك بقوله وعمله(١).

وبوب الإمام البيهقي في «مختصر شعب الإيمان»: الباب الثَّانِي وَالسَّبْعُونَ من شعب الإيمان: الْغيرَة وَترك المذاء، لقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦]، وَقَوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١].

وَرُوِيَ عَن أبي سعيد الْخُدْرِيِّ عَن النَّبِي ﷺ أنه قَالَ: «الْغيرَة من الإيمان، وأن المذاء من النِّفَاق».

قَالَ الْحَلِيمِيُّ:

المذاء هُوَ أن يجمع بَين الرِّجَال وَالنِّسَاء ثمَّ يخليهم يماذي بَعضهم بَعْضًا، وأُخذ من الْمَذْي، وَقيل: هُوَ إرسال الرِّجَال مَعَ النِّسَاء، من قَوْله: مذيت الْفرس إذا أرسلتها ترعىٰ(٢).

قال الحافظ ابن حجر الهيتمي:

ومن لا غيرة له ولا مروءة له لا يتأهل لشيء من أنواع الكمال بوجه من الوجوه، لأنه بالنساء بل بحشرات الحيوان أشبه، لذا قال الشافعي: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان.

وقد وصف الله تعالىٰ الصحابة - رضوان الله عليهم - بالشدة والحمية فقال تعالىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]، ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ [الفتح: ٢٩]،

---

(١) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٢٧٣).

(٢) «مختصر شعب الإيمان» (ص١٣٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣](١).

٢ - حفظ أعراض المسلمين وأنسابهم.

يقول الإمام الغزالي:

«وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب، ولذلك قيل كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها، ومن ضعف الغضب الخورُ والسكوتُ عند مشاهدة المنكرات تولدت عدم الغيرة»(٢).

يقول أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ:

«إن من محاسن الغيرة والحجاب، أنه إذا أغير الرجل في أهله، أو في بعض مناكحه، أو مملوكته فلم يغر، فذلك الديوث، وغاية أموال الرجال وكسبهم وهمهم وما يملكون، إنما هو مصروف إلىٰ النساء، فلو لم يكن إلا ما يُعدُّ لهن من الطيب والحُلي والكساء والفرش والآنية، كان في ذلك ما كفىٰ، ولو لم يكن إلا الاهتمام بالحفظ والحراسة وخوف العار من خيانتهن، والجناية عليهن، لكان في ذلك المئونة العظيمة، والمشقة الشديدة، غير أن أولىٰ الأشياء بالرجال حفظهن وحراستهن، فليس شيء لهن أصلح من مباعدتهن عن الرجال، وقمعهن»(٣).

٣ - حماية الحجاب، ودفع التبرج والسفور والاختلاط.

يقول العلامة بكر أبو زيد:

وإذا خُلع الحجاب عن الوجه فلا تسأل عن انكسار عيون أهل الغيرة، وتقلص ظلِّ الفضيلة وانتشار الرذيلة، والتحلل من الدين، وشيوع التبرج والسفور والتهتك والإباحية بين الزناة والزواني، وأن تهب المرأة نفسها لمن تشاء، وفي تفسير ابن جرير عند قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧]، قال مجاهد بن جبر: يزني أهل الإسلام كما يزنون، قال: هي كهيئة: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم: ٩](٤).

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٩٤).

(٢) «إحياء إحياء علوم الدين» (٢/ ٢٢٨).

(٣) «المحاسن والأضداد»،الجاحظ (١/ ١٨٠).

(٤) «حراسة الفضيلة» (ص٩٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٤ - حماية القلب، فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغيرة تميت القلب، فتموت له الجوارح؛ فلا يبقىٰ عندها دفع البتة(١).

يقول شيخ الإسلام:

فإن القلب الحي يكون صاحبه حيًا فيه حياء يمنعه عن القبائح، فإن حياة القلب هي المانعة من القبائح التي تفسد القلب.

- عن سالم بن عبد الله، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ مر علىٰ رجل من الأنصار، وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دعه فإن الحياء من الإيمان» (يعظ أخاه في الحياء) ينصحه ويعاتبه علىٰ كثرة حيائه. (دعه) اتركه علىٰ حيائه](٢).

- عن أبي أمامة، عن النبي ﷺ قال: «**الحياء والعي شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**» والعي قلة الكلام، والبذاء: هو الفحش في الكلام، والبيان: هو كثرة الكلام مثل هؤلاء الخطباء الذين يخطبون فيوسعون في الكلام، ويتفصحون فيه من مدح الناس فيما لا يرضي الله(٣).

والحي يدفع ما يؤذيه؛ بخلاف الميت الذي لا حياة فيه، فإنه يسمىٰ وقحًا، والوقاحة الصلابة وهو اليبس المخالف لرطوبة الحياة، فإذا كان وقحًا يابسًا صليب الوجه لم يكن في قلبه حياة توجب حياءه، وامتناعه من القبح كالأرض اليابسة لا يؤثر فيها وطء الأقدام بخلاف الأرض الخضرة، ولهذا كان الحي يظهر عليه التأثر بالقبح، وله إرادة تمنعه عن فعل القبح، بخلاف الوقح الذي ليس بحي فلا حياء معه ولا إيمان يزجره عن ذلك(٤).

٥ - الحمية والغضب لله إذا رأىٰ حرمات الله تنتهك، وحماية الدين والأعراض والشرف لا تدفع إلا بالغضب، فمن فقد قوة الغضب بالكلية، أو ضعفت فيه الحمية فهو ناقص محلول العزم، مفقود الحزم، معدوم الرجولة(٥).

---

(١) «الجواب الكافي»، ابن القيم (ص٦٨).
(٢) «صحيح البخاري» (١/ ١٤).
(٣) «سنن الترمذي» ت بشار (٣/ ٤٤٣).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٠٩).
(٥) «موارد الظمآن لدروس الزمان» (٤/ ٣٧٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٦ - **تطهير المجتمع من الرذائل**، وبخاصة أن صيانة عرض المرأة هو من صيانة عفتها وطهارتها، ولا يتأتي هذا إلا إذا أيقظت الأمة الغيرة علىٰ محارمها.

وعفة المرأة وطهارتها وخشيتها لله ﷻ تعني تطهير المجتمع من الفساد، وتطهير المجتمع من الفساد يعني أن تبقىٰ للأمة أخلاقها، وأن يبقىٰ لها دينها، وأن تبقىٰ لها محافظتها، وحينئذ يكون هذا المجتمع طيبًا طاهرًا نظيفًا، وتكون هذه البيئة صالحة للتربية.

ومن مقاصدها:

٧ – تنشئة الأبناء علىٰ الأنفة والحمية لحفظ العرض.

يقول تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم ٦].

قال الحسن: علموهم وأدبوهم وفقهوهم، فإذا كانت الأم تتركه في المُكَتَّب، وتعلمه القرآن، والصبي يؤثر اللعب ومعاشرة أقرانه، وأبوه يمكنه من ذلك، فإنه أحق بها بلا تخيير ولا قرعة، وكذلك العكس، ومتىٰ أخل أحد الأبوين بأمر الله ورسوله في الصبي وعطله، والآخر مراع له فهو أحق وأولىٰ به.

يقول شيخ الإسلام: تنازع أبوان صبيًا عند بعض الحكام، فخيره بينهما، فاختار أباه، فقالت له أمه: سله لأي شيء يختار أباه، فسأله فقال: أمي تبعثني كل يوم للكتاب، والفقيه يضربني، وأبي يتركني للعب مع الصبيان، فقضىٰ به للأم، قال: أنت أحق به[1].

يقول ابن القيم:

الرجال أغير علىٰ البنات من النساء، فلا تستوي غيرة الرجل علىٰ ابنته وغيرة الأم أبدًا، وكم من أم تساعد ابنتها علىٰ ما تهواه، ويحملها علىٰ ذلك ضعف عقلها، وسرعة انخداعها، وضعف داعي الغيرة في طبعها، بخلاف الأب؛ ولهذا المعنىٰ وغيره جعل الشارع تزويجها إلىٰ أبيها دون أمها، ولم يجعل لأمها ولاية علىٰ بضعها البتة، ولا علىٰ مالها، فكان من محاسن الشريعة أن تكون عند أمها ما دامت محتاجة إلىٰ الحضانة والتربية، فإذا بلغت حدًا تُشْتهىٰ فيه وتصلح للرجال، فمن محاسن الشريعة أن تكون عند من هو أغير عليها،

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٥/ ٤٢٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأحرص علىٰ مصلحتها، وأصون لها من الأم.

قالوا: ونحن نرىٰ في طبيعة الأب وغيره من الرجال من الغيرة، ولو مع فسقه وفجوره ما يحمله علىٰ قتل ابنته وأخته ومونيته إذا رأىٰ منها ما يريبه لشدة الغيرة، ونرىٰ في طبيعة النساء من الانحلال والانخداع ضد ذلك.

ولهذا قال مالك والليث: إذا لم تكن الأم في موضع حرز وتحصين، أو كانت غير مرضية، فللأب أخذ البنت منها، وكذلك الإمام أحمد رحمه الله في الرواية المشهورة عنه، فإنه يعتبر قدرته علىٰ الحفظ والصيانة. فإن كان مهملًا لذلك، أو عاجزًا عنه، أو غير مرضي، أو ذا دياثة، والأم بخلافه - فهي أحق بالبنت بلا ريب، فمن قدمناه بتخيير أو قرعة أو بنفسه، فإنما نقدمه إذا حصلت به مصلحة الولد، ولو كانت الأم أصون من الأب وأغير منه قُدِّمت عليه، ولا التفات إلىٰ قرعة ولا اختيار الصبي في هذه الحالة، فإنه ضعيف العقل يؤثر البطالة واللعب، فإذا اختار من يساعده علىٰ ذلك، لم يلتفت إلىٰ اختياره، وكان عند من هو أنفع له وأخير، ولا تحتمل الشريعة غير هذا، والنبي ﷺ قد قال: «**مروهم بالصلاة لسبع، واضربوهم علىٰ تركها لعشر، وفرقوا بينهم في المضاجع**».

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأما أنواع الغيرة

فهي إما غيرة محمودة طبعًا وشرعًا، وإما غيرة مذمومة طبعًا وشرعًا، والغيرة المحمودة هي الغيرة المعتدلة المشروعة التي تجعل صاحبها يحمي محارمه من الوقوع في المنكر، ومن اختلاطهن بالرجال الأجانب.

يقول ابن القيم:

وغيرة العبد علىٰ محبوبه نوعان، غيرة ممدوحة يحبها الله، وغيرة مذمومة يكرهها الله، فالتي يحبها الله: أن يغار عند قيام الريبة، والتي يكرهها: أن يغار من غير ريبة بل من مجرد سوء الظن وهذه الغيرة تفسد المحبة وتوقع العداوة بين المحب ومحبوبه عن كعب بن مالك ، أن رسول الله ﷺ قال: «الغيرة غيرتان: فغيرة يحب الله ، وأخرىٰ يكرهها ». قلنا: يا رسول الله، ما الغيرة التي يحب الله ﷻ أن يغار؟ قال: «تؤتىٰ معاصي الله ﷻ وتنتهك محارمه» . قلنا: فما الغيرة التي يكره الله جل ثناؤه؟ قال: «غيرة أحدكم في كنهه»(١).

– عن عبد الله بن شداد قال: الغيرة غيرتان: غيرة يصلح الرجل أهله، وغيرة تدخله النار"(٢).

فالغيرة المحبوبة هي ما وافقت غيرة الله تعالي، وهذه الغيرة هي أن تنتهك محارم الله، وهي أن تؤتىٰ الفواحش الباطنة والظاهرة، لكن غيرة العبد الخاصة هي من أن يشركه الغير في أهله فغيرته من فاحشة أهله ليست كغيرته من زنا الغير، لأن هذا يتعلق به، وذاك لا يتعلق به، إلا من جهة بغضه لبغض الله للزنا.

ولهذا كانت الغيرة الواجبة عليه هي في غيرته علىٰ أهله، وأعظم ذلك: امرأته ثم أقاربه ومن هو تحت طاعته، ولهذا كان له إذا زنت أن يلاعنها لما عليه في ذلك من الضرر، بخلاف ما إذا زنا غير امرأته، فالغيرة الواجبة ما يتضمنه النهي عن المخزي، والغيرة المستحبة ما أوجبت المستحب من الصيانة.

---

(١) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٢٩٦).

(٢) «اعتلال القلوب» للخرائطي (٢/ ٣٥٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكغيرة قوم يغارون مما يكرهه الله، ويحبون ما يحبه الله هؤلاء هم أهل الإيمان.

ولهذا كانت الغيرة علىٰ العرض مما يحبها الله وأمر بها حتىٰ قال النبي ﷺ «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه والله أغير مني؛ من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»(١).

ويتبع الغيرة المحمودة تلك الغيرة المباحة والتي مصدرها الطبع والفطرة، كغيرة النساء بعضهن من بعض فتلك ليس مأمورًا بها لكنها من أمور الطباع، كالحزن علىٰ المصائب.

- عن أنس، قال: كان النبي ﷺ عند بعض نسائه، فأرسلت إحدىٰ أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي ﷺ في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي ﷺ فلق الصحفة، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: «غارت أمكم» ثم حبس الخادم حتىٰ أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلىٰ التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت(٢).

- روىٰ الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال لها النبي ﷺ: «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته». قال الترمذي: حسن صحيح. أي: يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها، فالجواب إنما صدر هذا القول عن عائشة مع وفور فضلها وكمال عقلها لفرط الغيرة الغريزية التي جبلت عليها القلوب البشرية.

وقد حكىٰ القاضي عياض في الإكمال عن مالك وغيره أن المرأة إذا رمت زوجها بالفاحشة علىٰ جهة الغيرة لا يجب عليها الحد قال واحتج لذلك بقوله ﷺ وما تدري الغيراء أعلىٰ الوادي من أسفله(٣).

وعن فاطمة أنها قالت للنبي ﷺ: إن الناس يقولون: إنك لا تغار لبناتك، لما أراد عليٌّ رضي الله عنه أن يتزوج بنت أبي جهل وخطب النبي ﷺ وذكر صهرًا له من أبي العاص وقال:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٢٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٧/ ٣٦).

(٣) «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» للزركشي (ص٥٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«حدثني فصدقني، ووعدني فوفاني»، وقال: «إن بني العاص استأذنوني في أن يزوجوا بنتهم عليًا، وإني لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم، والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبدًا».

- عن المسور بن مخرمة، أن عليًّا خطب ابنة أبي جهل فوعد النكاح، فأتت فاطمة النبي ﷺ، فقالت: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وإن عليًا خطب بنت أبي جهل، فقال النبي ﷺ: «إنما فاطمة بضعة مني وإني أكره أن يسوءها»، وذكر أبا العاص بن الربيع فأحسن عليه الثناء وقال: «لا يجمع بين بنت نبي الله وبين بنت عدو الله»(١).

ووجه تضمن الحديث لذلك أنه ﷺ أخبر أن ذلك يؤذي فاطمة ويريبها، وأنه يؤذيه ﷺ ويريبه، ومعلوم قطعًا أنه ﷺ إنما زوجه فاطمة رضي الله عنه علىٰ أن لا يؤذيها ولا يريبها ولا يؤذي أباها ﷺ ولا يريبه، وإن لم يكن هذا مشترطًا في صلب العقد، فإنه من المعلوم بالضرورة أنه إنما دخل عليه وفي ذكره ﷺ صهره الآخر، وثناءه عليه بأنه حدثه فصدقه، ووعده فوفىٰ له تعريض بعلي رضي الله عنه وتهييج له علىٰ الاقتداء به، وهذا يشعر بأنه جرىٰ منه وعد له بأنه لا يريبها ولا يؤذيها، فهيجه علىٰ الوفاء له، كما وفىٰ له صهره الآخر.

فهذه الغيرة التي جاءت بها سنة رسول الله ﷺ وغيرة الله أن يأتي العبد ما حرم عليه، وغيرته أن يزني عبده أو تزني أمته، وغيرة المؤمن أن يفعل ذلك عمومًا وخصوصًا في حقه، والغيرة التي يحبها الله الغيرة في ريبة والغيرة التي يبغضها الله الغيرة التي في غير ريبة(٢).

قال العظيم آبادي:

فالغيرة في الريبة: نحو أن يغتار الرجل علىٰ محارمه إذا رأىٰ منهم فعلًا محرمًا فإن الغيرة في ذلك ونحوه مما يحبه الله ... والغيرة في غير ريبة: نحو أن يغتار الرجل علىٰ أمه أن ينكحها زوجها، وكذلك سائر محارمه فإن هذا مما يبغضه الله تعالىٰ؛ لأن ما أحله الله تعالىٰ فالواجب

---

(١) «صحيح ابن حبان - مخرجًا» (١٥/ ٥٣٥).

(٢) ابن تيمية، «الاستقامة» (٢/ ٩)، «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٥/ ١٠٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

علينا الرضىٰ به فإن لم نرض به كان ذلك من إيثار حمية الجاهلية علىٰ ما شرعه الله لنا(١).

ومن صور هذه الغيرة:

١ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فإن القيام بهذه الشعيرة من أعظم الواجبات، وهو دليل علىٰ الغيرة علىٰ دين الله سبحانه وتعالىٰ، قال ﷺ: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٢).

٢ - عدم تعظيم الكفار والركون إليهم:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة].

قال ابن كثير:

نهىٰ تعالىٰ عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارىٰ، الذين هم أعداء الإسلام وأهله، قاتلهم الله، ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض، ثم تهدد وتوعد من يتعاطىٰ ذلك فقال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾(٣).

يقول الإمام القشيري:

وشأن هؤلاء زال الورع وطوىٰ بساطه، واشتد الطمع وقوىٰ رباطه، وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، وعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا إلىٰ ميدان الغفلات، وركنوا إلىٰ اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان(٤).

---

(١) «نيل الأوطار»، للشوكاني (٧/ ٢٨٧).

(٢) رواه مسلم (٤٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٣/ ١٣٢).

(٤) «الرسالة القشيرية» (١/ ١٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ - الفرح بزوال الظلم والظلمة:

إن المسلم الغيور ليفرح إذا أزيل منكر، وقمعت فاحشة، وأخمدت فتنة، كيف لا، وربنا يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

(بل إن الفرح بما يصيب الناس من البلاء وإن كان مذموماً فإنه حين يكون لإصابة مفسد أو ظالم ببلاء يمنعه من فساده وظلمه، ويجعله لغيره من الظلمة عبرة، فلا يكون مذموماً، بل غيرة في الدين، والغيرة من الإيمان، ففرحه حينئذ بزوال الفساد والظلم لا بإصابة البلاء والمصيبة، كما ذكره بعض العلماء[١].

وكيف لا يفرح المسلم إذا رأىٰ الظلمة والمستبدين يزولون ويتساقطون كأوراق الخريف!!.

وأما الغيرة المذمومة شرعًا فيرجع سببها إلي: قلة الإيمان ونسيان الله ﷻ، ووسوسة الشيطان، ومرض القلب، وكالإحساس بالنقص، وكعدم إنصاف الرجل لزوجته وهضمه لحقوقها.

- عن يحيىٰ بن أبي كثير قال: قال: سليمان بن داود عليهما السلام لابنه: يا بني لا تكثر الغيرة علىٰ أهلك، فترمىٰ بالشر من أجلك وإن كانت بريئة، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تستخف فؤاد الرجل الحكيم، قال: وعليك بخشية الله ﷻ فإنها غاية لكل شيء[٢].

يقول الشيخ السيد سابق:

وكما يجب علىٰ الرجل أن يغار علىٰ زوجته، فإنه يطلب منه أن يعتدل في هذه الغيرة، فلا يبالغ في إساءة الظن بها.

ولا يسرف في تقصي كل حركاتها وسكناتها ولا يحصي جميع عيوبها، فإن ذلك يفسد العلاقة الزوجية، ويقطع ما أمر الله به أن يوصل[٣].

---

(١) بريقة محمودية، (٢/ ٢٦٦/ ٢٣٨)، «الغيرة على المرأة»، لعبد الله المانع (ص٧٢).

(٢) «شعب الإيمان» (٢/ ٢٤٩).

(٣) «فقه السنة» (٢/ ١٨٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يقول الدكتور مصطفي مراد في كتابه «خلق المؤمن»:

«وإنما يصح ذلك إن بدت أسباب حقيقية تستدعي الريبة»(١).

قال بدر الدين العيني في «عمدة القاري»:

لكن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص؛ فرب رجل شديد التخيل فيظن ما ليس بريبة ريبة، ورب رجل متساهل في ذلك فيحمل الريبة علىٰ محمل يحسن به ظنه(٢).

ومما لا شك فيه أن الغيرة المذمومة تخلف آثارًا وبيلة منها:

- الغيبة والسخرية، والإحجام عن بذل الخير للآخرين، والإضرار بالغير وإفساد حاجاته أو إتلافها.

- بغض أقارب الزوج وهضم حقوقهم والضيق بهم، والحسد والحقد، والتجسس ومراقبة الزوج ومتابعته.

- الظهور بالمظاهر المزيفة، مع الآلام النفسية والأمراض البدنية والكهولة المبكرة.

- الاحتيال والكيد، كالسحر، وهو ما تفعله بعض الجاهلات لزوجها أو ضرتها أو كليهما حتىٰ يصفو لها زوجها أو تنتقم منه.

- القتل، وهو ما فعلته بعض النسوة بزوجها ... وهو مشاهد عند النساء إما نية وإما فعلًا.

- كفر الزوج وجحد فضله علي زوجته، إذ قد تقود الغيرة إلىٰ كفران الزوج إما بالقول أو بالفعل.

- عن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ: «أُرِيتُ النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلىٰ إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قط»(٣).

---

(١) «خلق المؤمن»، الدكتور مصطفي مراد.

(٢) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٢٠/ ٢٠٦).

(٣) «أحكام التعدد»، لإحسان محمد العتيبي (ص١٤٠)، «صحيح البخاري» (١/ ١٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الخريمي:

مـــا أحـــسن الغيـــرة في حينهـــا	وأقـــبح الغيـــرة في كـــلّ حـــين
مـــن لـــم يـــزل متّهمًـــا عرســـه	مناصـــبًا فيهـــا لريـــب الظّنـــون
أو شـــك أن يغريهـــا بالّـــذي	يخـــاف أن يبرزهـــا للعيـــون
حـــسبك مـــن تحـــصينها وضـــعها	منـــك إلـــىٰ عـــرض صـــحيح وديـــن
لا تطّلـــع منـــك علـــىٰ ريبـــة	فيتبـــع المقـــرون حبـــل القـــرين[1]

ومن الغيرة المذمومة:

كالذين لا يغارون علىٰ حرمات الله بحال، ولا علىٰ حرمها، مثل الديوث والقواد وغير ذلك، ومثل أهل الإباحة الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق، ومنهم من يجعل ذلك سلوكًا وطريقًا ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأعراف: ٢٨]

وكمن يغارون علىٰ ما حرمه الله وعلىٰ ما أمر به مما هو من نوع الحب والكره يجعلون ذلك غيرة، فيكره أحدهم من غيره أمورًا يحبها الله ورسوله، ومنهم من جعل ذلك طريقًا ودينًا، ويجعلون الحسد والصد عن سبيل الله وبغض ما أحبه الله ورسوله غيرة.

- وكقوم يغارون علىٰ ما أمر الله به دون ما حرمه فنراهم في الفواحش لا يبغضونها ولا يكرهونها، بل يبغضون الصلوات والعبادات كما قال تعالىٰ فيهم: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم: ٥٩][2].

ومن الغيرة المذمومة أيضًا:

أن يشك الرجل في أهله، ويتجسس عليهم ويظن بهم السوء، وهم بعيدون عنه كل البعد، عن جابر، أن النبي ﷺ «نهىٰ أن يطرق الرجل أهله ليلًا حتىٰ تمتشط الشعثة وتستحد

---

(١) «الشعر والشعراء»، لابن قتيبة (٩/ ١٤٨).

(٢) «الاستقامة» (٢/ ٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المغيبة»[١].

وكم انهارت من أسر، وكم وقعت من نساء في الفاحشة بسبب اتهام الرجل لها بالفاحشة، فيوسوس بها الشيطان أن تعمل الفاحشة!

فهي علىٰ كل حال متهمة، فتتجاوب مع ضعف إيمانها، وهذا بسبب هذه الغيرة المذمومة التي يبغضها الله ـ تعالىٰ ـ قال رسول الله ﷺ: «إن من الغَيْرة ما يحبه الله، ومنها ما يبغضه الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله؛ فالغيرة في غير الريبة»[٢].

ومن الغيرة المذمومة: الغيرة التي تنبعث من الأنفة دون خوف الفتنة، والجائز ما فيه خوف الفتنة، وذلك قوله ﷺ «الغيرة غيرتان» الحديث، وحديث عائشة «إن النساء أحدثن» الحديث[٣].

وفي قصة المرأة الغامدية أن النبي ﷺ «دعا وليها» أي دعا ﷺ متولي أمر المرأة فقال: «أحسن إليها» لأن سائر قراباتها ربما حملتهم الغيرة وحمية الجاهلية علىٰ أن يفعلوا بها ما يؤذيها، فأمره بالإحسان إليها تحذيرًا من ذلك[٤].

- كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول: (لا تكثر الغيرة علىٰ أهلك فترمىٰ بالسوء من أجلك[٥].

- قال عبد الله بن جعفر لابنته: «إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء[٦].

- عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أغار علىٰ اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول:

---

(١) «مسند أبي داود» الطيالسي (٣/ ٣٣٤).

(٢) «سنن ابن ماجه» (١/ ٦٤٣).

(٣) «حجة الله البالغة» (٢/ ٤١).

(٤) «الإحكام شرح أصول الأحكام» لابن قاسم (٤/ ٣١٤).

(٥) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٤٦).

(٦) «الاستقامة» (٢/ ٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله ﷻ: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ﴾ [الأحزاب: ٥١] قالت: قلت: والله! ما أرىٰ ربك إلا يسارع لك في هواك(١).

قولها: «ما أرىٰ ربك» كناية عن ترك التنفير والتقبيح لما رأت من مسارعة الله تعالىٰ في مرضاة النبي -صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم- أي: كنت أنفر النساء عن ذلك، فلما رأيت الله جل ذكره يسارع في مرضاة النبي -صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم- تركت ذلك لما فيه من الإخلال بمرضاته صلىٰ الله تعالىٰ عليه وسلم(٢).

(١) «المحاسن والأضداد» (ص٢٦٧).

(٢) «حاشية السندي على صحيح البخاري» للسندي (٣/ ٦٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل
مظاهر الغيرة عند العرب في الجاهلية

لقد مُنِيَ العرب في جاهليتهم باتقاد الغيرة حتىٰ جاوزوا بها طورها. وحتىٰ قادت فريقًا منهم إلىٰ قذف زوجته في عرضها لهاجس اعتراه، أو خلجة من الشك نفذت إليه. فرفعوا خصومتهم، واحتكموا في أعراضهم إلىٰ فريق الكهان والكواهن، وهم بَشَر يقذفون الغيب برجم الظنون، فيخطئون ويصيبون.

وإن من أشد ضروب الوهم، وأفدح أثقال الظلم، أن ترىٰ العربي يريد السفر، فيعمد إلىٰ شجرة فيعقد بين غصنين منها، فإن عاد وكان الغصنان علىٰ حالهما، زعم أنها لم تخنه، وإلا فقد خانته. وذلك ما يسمونه بالرتيمة. كأن عرض المرأة، بل عرض الأسرة بل عرض الحي الذي نشأت المرأة بين ربوعه ودرجت بين مدارجه مُرْتَهن بغصنين تعصف بهما الريح، أو تعبث بهما الأيدي، فتفرق بينهما(١).

وكان العرب في الجاهلية يعدون المرأة ذروة شرفهم وعنوان عرضهم، ولذلك فقد تفننوا في حمايتها والمحافظة عليها، والدفاع عنها زوجة وأمًّا، ابنة وأختًا، قريبة وجارة، حتىٰ يظل شرفهم سليمًا من الدنس، ويبقىٰ عرضهم بعيدًا من أن يمس، ولم يكن شيء يثير القوم كالاعتداء علىٰ نسائهم أو المساس بهن، ولذلك كانوا يتجشمون في الدفاع عنهن كل صعب، ولا يضنون بأي غال، لقد كانت الغيرة تولد مع القوم وكأنهم أرضعوها فعلًا مع لبان الأمهات(٢).

وفي بيئة العرب التي قامت فيها الأخلاق علىٰ الإباء والاعتزاز بالشرف كان لا بد للرجال والنساء من العفة ومن التعفف؛ لأن العدوان علىٰ العرض يجر الويلات والحروب، وكان لا بد من الغيرة علىٰ العرض حتىٰ لا يخدش.. والعفة شرط من شروط السيادة فهي كالشجاعة والكرم.

---

(١) «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» (٢/ ٢٤).

(٢) «المعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي»: محمد محمود صيام / ٣٥٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- كان النابغة يشبب بالمتجردة امرأة النعمان بن المنذر، وكانت أكمل أهل عصرها جمالاً، فبلغ ذلك النعمان، فهم بقتل النابغة فهرب منه، وسار حتىٰ أتىٰ الشام، والملك بها جبلة بن الأيهم الغساني، فنزل عليه وأقام عنده، وكتب إلىٰ النعمان:

حلفت فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنت قد بلغت عني خيانة ... لمبلغك الواشي أغش وأكذب[1]

وكان العرب أغير من غيرهم؛ لأنهم أشد الناس حاجة إلىٰ حفظ الأنساب، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها، وضعت الصيانة في نسائها، وقد وصل العرب في الغيرة أن جاوزوا الحد، حتىٰ كانوا يئدون بناتهم مخافة لحوق العار بهم من أجلهن.

وأول قبيلة وأدت من العرب ربيعة، وذلك أنهم أُغير عليهم، فنهبت بنت لأمير لهم، فاستردها بعد الصلح، وخيرت رضي منها بين أبيها ومن هي عنده، فاختارت من هي عنده، فغضب والدها وسن لقومه الوأد، ففعلوه غيرة منهم، وشاع الوأد في العرب بعد ذلك.

-كانت امرأة شداد أبي عنترة ذكرت له أن عنترة أرادها عن نفسها، فأخذه أبوه فضربه ضرب التلف، فقامت المرأة فألقت نفسها عليه لما رأت ما به من الجراحات، وبكته، وكان اسمها سمية، فقال عنترة:

أمن سمية دمع العين مذروف ... لو كان ذا منك قبل اليوم معروف

كأنها يوم صدت ما تكلمنا ... ظبيٌ بعسفان ساجي العين مطروف

قامت تجللني لما هوىٰ قبلي ... كأنها صنمٌ يعتاد معكوف

المال مالكم والعبد عبدكم ... فهل عذابك عني اليوم مصروف[2]

ومن نخوة العرب وغيرتهم أنهم يكنون عن حرائر النساء بالبيض، وقد جاء القرآن الكريم بذلك، فقال سبحانه: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾، وقال امرؤ القيس: (وبيضة خدر لا يرام خباؤها).

---

(١) «المحاسن والأضداد» (ص٢٦٣).

(٢) «المحاسن والأضداد» (ص٢٦٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ويكنون عنها بالنخلة.

ومن نخوة العرب وغيرتهم أنه كان من عادتهم إذا وردوا المياه أن يتقدم الرجال والرعاء، ثم النساء إذا صدرت كل الفرق المتقدمة، حيث يغسلن أنفسهن وثيابهن ويتطهرن آمنات ممن يزعجهن، فمن تأخر عن الماء حتىٰ تصدر النساء فهو الغاية في الذل.

وكان للغيرة عند القوم مظاهر كثيرة[١] منها:

حبهم لعفة النساء عامة، ونسائهم خاصة، ومنها: حبهم لحيائهن وتسترهن ووفائهن ووقارهن، وقد أشاد الشعراء بعفة النساء وتمنعهن ووفائهن، قال علقمة بن عبدة[٢]:

منعمـــة مـــا يـــستطاع كلامهـــا ... علـىٰ بابهـا مـن أن تـزار رقيـب

إذا غـاب عنها البعـل لـم تفش سره ... وتُرضـي إيـاب البعـلَ حـين يئـوب

ومن أجمل ما قيل في خفر النساء وعفتهن قول الشنفري الأزدي في غزله[٣]:

لقـد أعجبتنـي لا سـقوطًا قناعهـا ... إذا مـا مـشت ولا بـذات تلفـت

أميمـة لا يخـزي نثاهـا حليلهـا ... إذا ذكـر النـسوان عفـت وجَلَّـت

إذا هـو أمـسىٰ آب قـرة عينـه ... مـآب الـسعيد لـم يـسل أيـن ظلَّـت

وفي ذلك ينشد مسكين الدارمي شعره قائلًا:

إذا قـصرت أيـدي الرجـال عـن العـلا ... مـددت لهـا باعـًا عليـا فنلتهـا

ومكرمـة كانـت رعايـة والـدي ... فعلَّمينهـا والـدي فنقلتهـا

وإني سـألقىٰ الله لـم أرم حـرّة ... ولـم تـأتمني يـوم سـرّ[٤] فخنتهـا

ولا قـاذف نفـسي ونفـسي بريئـة ... وكيـف اعتـذاري بعـد مـا قـد قـذفتها

---

(١) الحر في الحياة العربية، والمعتقدات والقيم في الشعر الجاهلي.

(٢) «ديوان علقمة» (١/ ١)، المفضليات رقم (١١٩)، (ص ٣٩١).

(٣) المفضليات رقم ٢٠، ص ١٠٩، والحليل: الزوج.

(٤) في «الجليس الصالح»: ولم تأتمني سر قوم فخنتها.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بل حسبك منه قوله:

ناري ونار الجار واحدة ... وإليه قبلي تنزل القدر

ما ضر جاري إذ أجاوره ... ألا يكون لبيته ستر

أعمىٰ إذا ما جارتي خرجت ... حتىٰ يواري جارتي الخدر

ويصم عما كان بينهما ... سمعي وما بي غيره وقر[1]

وكان من مظاهر الغيرة عند العرب، ستر النساء ومنعهن من الظهور أمام الرجال.

يقول الأفوه الأودي[2]:

نقاتل أقوامًا فنسبي نساءهم ... ولم ير ذو عزٍّ لنسوتنا حجلا

علىٰ أنهم كانوا يفخرون بغض البصر عن الجارات، ويعتبرون ذلك من العفة والغيرة علىٰ الأعراض، كان كشف الستر بجارح النظرات، وهتك الأعراض بخائنة الأعين، وفضح الأسرار باستراق السمع لا يترفع عنه إلا كل عفيف[3]، وما أجمل قول عروة ابن الورد[4]:

ولا يستضام الدهر جاري ولا أرىٰ ... كمن بات تسري للصديق عقاربه

وابن جارتي ألوت رياح ببيتها ... تغافلت حتىٰ يستر البيت جانبه

وقول عنترة[5]:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتىٰ يواري جارتي مأواها

-قال شرحبيل بن مسيلمة: يا بني حنيفة، اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستردف النساء سبيات، وينكحن غير خطيبات، فقاتلوا عن أحسابكم، وامنعوا نساءكم[6].

---

(١) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها (٢/ ٢٨) مات مسكين الدارمي سنة تسع وثمانين.

(٢) «الأغاني» (١/ ١٦٥).

(٣) مجلة البيان (٢٨/ ٢٤)، الغيرة بين الجاهلية والإسلام، محمد الناصر.

(٤) الديوان: (ص٣٠) تحقيق عبد المنعم الملوحي، دمشق.

(٥) شرح ديوان عنترة (ص٢٠٨).

(٦) «تاريخ الطبري» (٣/ ٢٨٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أين من هؤلاء بعض الشباب اليوم الذين يتسكعون في الأسواق أو يتلصصون حول الحرمات، وبعض وسائل الإعلام تعرض المسلسلات الماجنة التي تدرب الشباب علىٰ التحلل والعدوان، لقد كانت عند العرب أخلاق كريمة، بعث نبي الرحمة - عليه الصلاة والسلام - ليتممها، ويقوم ما انحرف منها، ويسمو بها وبأمثالها.

وصدقت المرأة لما أنشدت وهي تحث رجال قومها وتبعث فيهم روح الغيرة:

أيصلح ما يؤتىٰ إلىٰ فتياتكم ... وأنتم رجالٌ كثرةً عدد الرمل

وترضون هذا يا لقومي لأختكم ... عشية زفت في النساء إلىٰ البعل

فإن أنتم لم تغضبوا بعد هذه ... فكونوا نساءً في المنازل والحجل

ودونكم طيب النساء وإنما ... خلقتم جميعاً للتزين والكحل

فلو أننا كنا رجالاً وكنتم ... نساءً لكنا لا نقيم علىٰ ذحل

فقبحًا لبعلٍ ليس فيه حميةٌ ... ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

فموتوا كرامًا أو أصيبوا عدوكم ... بداهيةٍ توري ضرامًا من الجزل

وإلا فخلوا داركم وترحلوا ... إلىٰ بلدٍ قفرٍ خلاءٍ من الأهل[1]

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، «المحاسن والأضداد» (١: ٢٤٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل
مظاهر ضعف الغيرة

لقد مرضت القلوب وكاد المرض يقضي علىٰ بعضها بالموت حتىٰ نزعت الغيرة الدينية من كثير منها، فأصبحت لا ترىٰ المعروف معروفًا ولا المنكر منكرًا، أصبح الناس لا يتمعر وجه أحدهم ولا يتغير من انتهاك حرمات الله وكأنه إذا حدث عن انتهاكها يحدث عن أمر عادي لا يؤبه له، وهذا والله هو الداء العضال الذي هو أعظم من فقد النفوس والأولاد والأموال.

إن ضعف الغَيْرة عند كثير من الرجال، وعدم حماية الرجال أصحاب القوامة لأعراضهم من زوجة وبنت وأخت وأم وقريبة أصبحت ظاهرة ذهبت بكل شيمة جميلة وخصلة حميدة، والمصيبة العظمىٰ أن موت الغيرة لم يعد صفة للذين ابتعدوا عن تعاليم الإسلام فحسب؛ وإنما أصبحت صفة لبعض الملتزمين المحافظين علىٰ تعاليم الإسلام الظاهرة، مما يجعلك تستغرب من هؤلاء الرجال الذين يتساهلون في حراسة أعراضهم من كل غادر فاجر متربص ساع في إفساد نساء المؤمنين؛ ومن يتابع أحوال المسلمين يرىٰ مظاهر كثيرة لضعف الغيرة لدىٰ المسلمين.

ونذكر هنا جملة من أهم هذه المظاهر، وأكثرها انتشارًا في مجتمعاتنا الإسلامية.

أولًا: ضعف الإيمان:

- **والمتمثل في عدم الغيرة علىٰ الأعراض إذا استبيحت، وعدم الغضب لمحارم الله ﷻ إذا انتهكت.**

- عن عائشة، زوج النبي ﷺ أنها قالت: «ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تنتهك حرمة الله ﷻ»(١).

ولأن لهيب الغيرة في القلب قد انطفأ فتعطلت الجوارح عن الإنكار، فلا يأمر صاحبه بمعروف ولا ينهىٰ عن منكر، ولا يتمعر وجهه قط في الله ﷻ والرسول ﷺ يصف هذا

(١) «صحيح مسلم» (٤/ ١٨١٣)٧٧ - (٢٣٢٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القلب المصاب بالضعف، قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن علىٰ القلوب كالحصير عودًا عودًا، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتىٰ تصير علىٰ قلبين، علىٰ أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مربادًا كالكوز مجخيًا لا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشْرب من هواه»(١).

قال الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي:

(تعرض الفتن) أي: تلصق بعرض القلوب أي: جانبها كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به. (فأي قلب أشربها) أي دخلت فيه دخولًا تامًا وألزمها وحلت منه محل الشراب. (أنكرها) ردها. (مثل الصفا) قال القاضي عياض : صفة أخرىٰ لشدته علىٰ عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.

(مجخيًا) معناه: قلب ونكس حتىٰ لا يعلق به خير ولا حكمة ومثله بالكوز المجخي وبيَّنه بقوله: (لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا)(٢)، فهذا زال من قلبه حب المعروف وكراهية المنكر واستوت عنده الأمور فما الذي يدفعه إلىٰ الأمر والنهي(٣).

ثانيًا: فشو المنكرات.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [الإسراء: ١٦] الآية.

أي: أكثروا العصيان وفشت فيهم المنكرات فاستحقوا عقاب الله تعالىٰ الذي توعدهم به فأهلكهم هلاك استئصال وخرَّب ديارهم.

وذلك ناتج من عدم استقامة الموازين الاجتماعية واختلال المفاهيم الشرعية وعدم استقرارها في نفوس أهلها، حتىٰ انقلب المنكر معروفًا والمعروف منكرًا، لذا نجد أن من أشد الأمور خطورة انتشار المنكرات ثم تواطؤ المجتمع علىٰ السكوت عنها ثم قبولها أخيرًا!

---

(١) «صحيح مسلم» (١/ ١٢٨).

(٢) «صحيح مسلم» (١/ ١٢٩).

(٣) «ظاهرة ضعف الإيمان» (ص١٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فإذا بلغت المنكرات درجة القبول عند الناس، وذلك بأن يروها أمورًا معتادة لا حاجة لاستنكارها فضلًا عن الإنكار علىٰ مرتكبيها، إذا بلغ الحال إلىٰ هذا الحد، فإن المجتمع يفقد موازينه المستقيمة وتذوب مفاهيمه الصحيحة لكل القيم الفضيلة، وعندئذ يعجز كل قانون عن التأثير في الناس ولا سيما القوانين الوضعية التي تقوم علىٰ مبدأ عدم التدخل في الحريات الشخصية. فلو نظرنا إلىٰ كثير من المجتمعات الإباحية نجد أن الأمور قد انفلتت من يد السلطات إذ أصبح المجتمع لا يستنكر سلوك الانحراف والشذوذ، والسلطة لا تقدر علىٰ محاربة الرذائل والمخدرات والجرائم التي يُعتدَىٰ فيها علىٰ حرمات الناس، بينما نجد المجتمعات الإسلامية – علىٰ وجه العموم– لا تزال تحتفظ بأصولها ومبادئها، مما يجعل السلوك الانحرافي والشذوذ والخروج علىٰ قيم المجتمع أمورًا مستقبحة ومستنكرة من عامة الناس.

ولا شك أن فشو المنكرات وظهور الفساد يستحق العقاب من وجهين:

الأول: أن ارتكاب تلك المنكرات موجب للعقاب الشرعي.

الثاني: أن السكوت عن هذه المنكرات من غير أصحابها موجب آخر للعقاب الكوني القدري.

– عن عطاء بن أبي رباح، أنه سمع ابن عمر، يحدث بمنًى أن رسول الله ﷺ قال: «... لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتىٰ يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم»(١).

– عن زينب ابنة جحش رضي الله عنها قالت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون قال: «نعم، إذا كثر الخبث»(٢)

ثالثًا: تبرج النساء وسفورهن:

والتبرج هو: أن تبدي المرأة من زينتها ومحاسنها وما يجب عليها ستره مما تستدعي به شهوة الرجل، ولذلك قال الإمام الذهبي:

ومن الأفعال التي تُلْعَن عليها المرأة، إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ تحت النقاب، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات والأُزر الحريرية والأقبية

---

(١) «شعب الإيمان» (٥/ ٢٢).

(٢) «صحيح البخاري» (٤/ ١٣٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

القصار، مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام وتطويلها، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه، ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة، ولهذه الأفعال التي قد غلبت علىٰ أكثر النساء، قال عنهن النبي ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا».

[ش (صنفان إلخ) هذا الحديث من معجزات النبوة فقد وقع هذان الصنفان وهما موجودان وفيه ذم هذين الصنفين: (كاسيات عاريات) قيل: معناه تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهارًا لجمالها ونحوه، وقيل: معناه تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها، (مميلات) قيل: يعلمن غيرهن الميل، وقيل: مميلات لأكتافهن، (مائلات) أي: يمشين متبخترات، وقيل: مائلات يمشين المشية المائلة وهي مشية البغايا، ومميلات يمشين غيرهن تلك المشية، ومعنىٰ رءوسهن كأسنمة البخت أي: يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها][1].

يقول صاحب «حراسة الفضيلة»:

وكثير من الناس تغيب عنهم مقاصد البدايات، كما تغيب عنهم معرفة مصادرها، كما في تجدد الأزياء - الموضة - الفاضحة الهابطة، فإنها من لدن البغايا اللائي خسرن أعراضهن، فأخذن بعرض أنفسهن بأزياء متجددة، هي غاية في العري والسفالة، وقد شُحنت بها الأسواق، وتبارىٰ النساء في السبق إلىٰ شرائها، ولو علموا مصدرها المتعفن، لتباعد عنها الذين فيهم بقية من حياء.

ومن البدايات المحرمة:

إلباس الأطفال الملابس العارية، لما فيها من إيلاف الأطفال علىٰ هذه الملابس والزينة، بما فيها من تشبه وعُريّ وتهتك.

وهكذا سلكوا شتىٰ السبل، وصاحوا بسفور المرأة وتبرجها من كل جانب، بالدعوة تارة، وبالتنفيذ تارة، وبنشر أسباب الفساد تارة، حتىٰ صار الناس في أمر مريج، وتَزَلْزَل الإيمان في نفوس كثيرين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم[2].

---

(١) «صحيح مسلم» (٣/ ١٦٨٠).

(٢) «حراسة الفضيلة» (ص١٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ولقد بالغ الإسلام في التحذير من التبرج إلىٰ درجة أنه قرنه بالشرك والزنىٰ والسرقة وغيرها من المحرمات، وذلك حين بايع النبي ﷺ النساء علىٰ أن لايفعلن ذلك.

- عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: جاءت أميمة بنت رُقَيقة إلىٰ رسول الله ﷺ تبايعه علىٰ الإسلام، فقال: «أُبايعكِ علىٰ أن لا تشركي بالله شيئًا، ولا تسرقي ولا تزني، ولا تقتلي ولدك، ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك، ولا تنوحي، ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولىٰ»[(١)].

وصدق الشاعر:

أمطعمة اليتامىٰ بكبد فرجها ... لك الله لا تطعمي ولا تزني

قال الألوسي في روح المعاني:

ثم اعلم أن عندي مما يلحق بالزينة المنهي عنها إبداؤها ما يلبسه أكثر مترفات النساء في زماننا فوق ثيابهن، ويسترن به إذا خرجن من بيوتهن، وهو غطاء منسوج من حرير ذي عدة ألوان، وفيه من النقوش الذهبية والفضية ما يبهر العيون، وأرىٰ أن تمكين أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك، ومشيهن به بين الأجانب، من قلة الغيرة، وقد عمت البلوىٰ بذلك.

ومثله ما عمت البلوىٰ به أيضًا من عدم احتجاب أكثر النساء من إخوان بعولتهن، وعدم مبالاة بعولتهن بذلك، وكل ذلك مما لم يأذن به الله تعالىٰ ورسوله ﷺ وأمثال ذلك كثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[(٢)].

ومن ذلك ظهور النساء بالملابس الضيقة:

عندما تضعف الغيرة ترىٰ الرجل يسمح لمحارمه أن يلبسن الملابس الضيقة والقصيرة، والخفيفة التي تُظهر ما تحتها، مثل البنطلون وغير ذلك من ملابس التبرج، وإن وُجد لديه شيء من الحياء فإنه يلزمهن بلبس العباءة، لكن هل هذه العباءة حجاب؟ لا، ليست عباءة التبرج والفتنة بحجاب، وقد زينت من الأمام، وزخرفت لها الأكمام، وضيقت من الأعلىٰ، ووسعت من الأسفل، وصنعت بألوان وأشكال مختلفة، حتىٰ زادت من جمال

---

(١) «الجامع الصحيح للسنن والمسانيد» (٢١/ ٤٦٦).

(٢) تفسير الألوسي «روح المعاني» (٩/ ٣٤١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرأة، وزادت الفتنة بها، فلو لبستها امرأة قبيحة الشكل لظن الرجل أنها ملكة الجمال لتزيين العباءة لها، وهذا الرجل يظن أنه قد عمل ما عليه من إلزام أهله بالحجاب المشروع، ولا يعلم أنه بعمله هذا قد خالف الشرع، وضيع أهله، فللحجاب الشرعي شروط لا بد من توفرها في هذه العباءة، وهذه الشروط هي:

أ – أن تكون ساترة لجميع البدن بما فيه الوجه، وهذا رأي كثير من العلماء لا سيما في زمن الفتن.

ب – أن تكون واسعة لا تبدي تفاصيل الجسم.

ج – أن تكون خالية من الزخارف والنقشات والكتابة.

د – أن تكون سميكة لا تظهر ما تحتها.

هـ – أن تكون من قماش لا يلصق بما تحته[1].

ولتعلم كل امرأة مسلمة أن الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لم يلزم المرأة المسلمة بهذا الحجاب إلا وفيه خير لها في الدنيا والآخرة؛ فالحجاب له أسرار عظيمة، وفضائل محمودة، ومصالح كثيرة، منها:

أ – أنه حراسة للأعراض، ودفع لأسباب الفتنة والفساد.

ب – حصانة للمرأة من أن تكون إناء لكل والغ.

ج – أنه علامة علىٰ عفة المرأة وحيائها واحتشامها.

د – أنه حصانة للمرأة من أذىٰ أراذل الرجال؛ فهو يكفّ الأعين الخائنة، والأطماع الفاجرة.

وليعلم كل رجل مسلم أنه مسئول عن حماية أهله من وسائل الفساد التي منها هذه العباءة العصرية: عباءة التبرج والسفور؛ فعليه أن يمنعهن من لبسها وشرائها، حتىٰ يحمي عرضه ويصون مجتمعه.

قال العلَّامة بكر أبو زيد :

« وإذا أردت أن تعرف فضل الحجاب، وستر النساء وجوههن عن الأجانب فانظر إلىٰ حال المتحجبات ماذا يحيط بهن من الحياء والبعد عن مزاحمة الرجال في الأسواق، والتصوُّن التام عن

---

(١) «موسوعة الأخلاق»، (١/ ٤٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الوقوع في الرذائل أو أن تمتد إليهن نظرات فاجر، وإلىٰ حال أوليائهن ماذا لديهم من شرف النفس والحراسة لهذه الفضائل في المحارم، وقارن هذا بحال المتبرجة السافرة عن وجهها التي تقلِّب وجهها في وجوه الرجال، وقد تساقطت منها هذه الفضائل بقدر ما لديها من سفور وتهتك، وقد ترىٰ السافرة الفاجرة تحادث أجنبيًا فاجرًا، تظن من حالهما أنهما زوجان بعقد أُشْهِدَ عليه أبو هريرة رضي الله عنه ولو رآها الديوث (زوجها) وهي علىٰ هذه الحال لما تحركت منه شعرة؛ لموات غيرته، نعوذ بالله من موت الغيرة، ومن سوء المنقلب» .

يقول أبو عمر الجاحظ:

ولم يأت الشيطان أحدًا قط من باب حتىٰ يراه بحيث أن من يهوىٰ مستقيم اللحم والأعضاء، هو أبلغ من مكيدته، وأخرىٰ أن يرىٰ فيه أمنية من هذا الباب إذ كان من ألطف مكايده، وأدق وساوسه، وأجل تزاييه.

وقيل: لو أن أقبح الناس وجهًا، وأنتنهم رائحة، وأظهرهم فقرًا، وأسقطهم نفسًا، وأوضعهم حسبًا قال لامرأة تمكن من كلامها، ومكنته من سمعها: والله يا مولاتي قد أسهرت ليلي، وأرقت عيني، وشغلتني عن مهم أمري، فما أعقل أهلًا ولا ولدًا، ولو كانت أبرع الناس جمالًا، وأكملهم كمالًا، وأملحهم ملاحة، وإن كانت عينه تدمع بذلك، ثم كانت تكون مثل أم الدرداء، أو معاذة العدوية، أو رابعة القيسية لمالت إليه وأحبته.

ومنها قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اضربوهن بالعري، فإن النساء يخرجن إلىٰ الأعراس، ويقمن في المناحات، ويظهرن في الأعياد، ومتىٰ كثر خروجهن لم يعد بد أن يرين من هو شكلهن، ولو كان بعلهن أتم حسنًا، وأحسن وجهًا، والذي رأت أنقص حسنًا، ولكان ما لا تملكه أظرف عندها مما تملكه، ولكان ما لم تملكه أو تستكثر منه أشد لها اشتغالًا واجتذابًا. قال الشاعر:

وللعين ملهىٰ بالنساء ولم يقد ... هوىٰ النفس شيء كاقتياد الطّرائف[1]

رابعًا: ضعف الغيرة لدىٰ الرجال:

ومن حقها عليه: أن يغار عليها ويصونها، إذ أن من حب الرجل لزوجته أن يغار عليها،

(١) «المحاسن والأضداد»، أبو عمر الجاحظ (ص٢٤٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويحفظها من كل ما يلم بها من أذًى في نظرة أو كلمة، والزوجة أعظم ما يكنزه المرء، فلا يليق به أن يجعلها مضغة في الأفواه، تلوكها الألسنة، وتتقحمها الأعين، وتجرحها الأفكار والخواطر.

كلا! إن الغيرة أخص صفات الرجل الشهم الكريم، وإن تمكنها منه يدل دلالة فعلية علىٰ رسوخه في مقام الرجولة الحقة الشريفة، ومن هنا كان كرام الرجال وأفذاذ الشجعان يمتدَحون بالغيرة علىٰ نسائهم، والمحافظة عليهن، وإن من شر صفات السوء ضعف الغيرة وموت النخوة، ولا يركن إلىٰ ذلك إلا الأرذلون، وليست الغيرة تعني سوء الظن بالمرأة، والتفتيش عنها وراء كل جريمة دون ريبة، ومتىٰ ما تحيَّن الرجل الفرص ليأخذ امرأته علىٰ غرة، التماسًا لعثرة منها بدون أي ريبة كانت هذه غيرةً مذمومة(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وقد عهد الناس خَلْقًا من الناس تغلبهم نساؤهم؛ من نساء التتر وغيرهم يكون لامرأته غرض فاسد في فتاه أو فتاها وتفعل معه ما تريد، وإن أراد الزوج أن يكشف أو يعاقب منعته ودفعته؛ بل وأهانته وفتحت عليه أبوابًا من الشر بنفسها وأهلها وحشمها والمطالبة بصداقها وغير ذلك؛ حتىٰ يتمنىٰ الرجل الخلاص منها رأسًا برأس مع كون الرجل فيه غيرة فكيف مع ضعف الغيرة(٢).

يقول العلامة بكر عبد الله أبو زيد:

وليتق الله امرؤ من أب أو ابن أو أخ أو زوج ونحوهم، ولَّاه الله أمر امرأة أن يتركها تنحرف عن الحجاب إلىٰ السفور، ومن الاحتشام إلىٰ الاختلاط، والحذر من تقديم أطماع الدنيا وملاذّ النفوس علىٰ ما هو خير وأبقىٰ من حفظ العِرض، والأجر العريض في الآخرة.

وعلىٰ نساء المسلمين أن يتقين الله، وأن يسلمن الوجه لله، والقيادة لمحمد بن عبد الله ﷺ، ولا يلتفتن إلىٰ الهمل دعاة الفواحش والأَفْن.

خامسًا: قلة الحياء:

فالحياء خلق إسلامي يبعث علىٰ صيانة العرض، ودفن المساوئ، والتحلي بالمكارم؛

---

(١) «عودة الحجاب» (٢/ ٣٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٢١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والحياء فضيلة من فضائل الفطرة، وهو مادة الخير والفضيلة وبهذا وصفه النبي ﷺ بقوله: الحياء خير كله.

فإن الذي لا يستحي لا يهمه ما يقال في أهله، ولا يستحي مما يفعله أهله من الرذائل، بل لو رأىٰ زوجته جالسة مع رجل أجنبي تمازحه وتضحك معه لما تحركت فيه شعرة، وكأن الأمر لا يعنيه والمرأة ليست بقريبة له.

إذا لم تصن عرضًا ولم تخش خالقًا وتستحي مخلوقًا فما شئت فاصنع

قلة الحياء ناتج من سوء الخلق؛ لأن الحياء من الإيمان، كما جاء في الصحيحين قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضع وسبعون -وفي رواية البخاري: بضع وستون شعبة- أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»، وقد تمثل النبي ﷺ بأكمل الحياء حتىٰ كان أشد حياءً من العذراء في خدرها، وكان يُرىٰ للحياء أثرٌ في وجهه حتىٰ لكأنه يفقع في وجهه حب الرمان، أي: يحمر وجهه من الحياء صلوات الله وسلامه عليه وهو سيد الخلق.

فبعض الناس ليس عنده حياء ولا يستحي، لا يستحي أن يقول زورًا، ولا يستحي أن يقع في منكر.

ومن قلة الحياء:

١- المجاهرة بالذنوب والمعاصي وعدم الخوف من الله، ولبس النساء الملابس الكاسية العارية وضعف الغيرة علىٰ دين الله وحرماته.

٢- تشبه المرأة بالرجل، فالمرأة المتشبهة بالرجال تكتسب من أخلاقهم حتىٰ يصير فيها من الظهور والتبرج والبروز ومشاركة الرجال ما قد يفضي ببعضهن إلىٰ أن تظهر بدنها كما يظهره الرجال أو أكثر لضعف عقلها، وتطلب أن تعلو علىٰ الرجال كما يعلو الرجال علىٰ النساء، وتفعل من الأفعال ما ينافي الحياء والخفر المشروع في حق النساء.

كما أن الرجل المتشبه بالنساء يكتسب من أخلاقهن بحسب تشبهه حتىٰ يفضي به الأمر إلىٰ التخنث والميوعة والتمكين من نفسه كأنه امرأة والعياذ بالله، وهذا مشاهد من الواقع. فصلوات الله وسلامه علىٰ من بلغ البلاغ المبين: بلغ الرسالة، وأدىٰ الأمانة، ونصح أمته.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد أفضىٰ الحال بكثير ممن يقلدون المتفرنجين إلىٰ أن شارك كثير من النساء الرجال في البروز والخروج والوظائف والتجارة والأسفار بدون محرم وغير ذلك، كما شارك كثير من الرجال النساء في المبالغة في التزين، والتخنث في الكلام، وحلق اللحىٰ، والتثني عند المشي، والتحلي بخواتيم الذهب، والأزارير وغيرها، وساعات اليد التي فيها شيء من الذهب، ونحو ذلك وأمثاله مما هو معروف، حتىٰ صارت العادة عندهم تطويل ثياب الرجل، وتقصير ثياب المرأة إلىٰ ركبتها، أو فوق الركبة بحيث يبدو فخذها، نعوذ بالله من قلة الحياء والتجري علىٰ محارم الله.

يقول شيخ الإسلام:

إن الله قد جعل في نفوس بني آدم من الغيرة ما هو معروف فيستعظم الرجل أن يطأ الرجل امرأته أعظم من غيرته علىٰ نفسه أن يزني، فإذا لم يكره أن تكون زوجته بغيًّا وهو ديوث كيف يكره أن يكون هو زانيًا؛ ولهذا لم يوجد من هو ديوث أو قواد يعف عن الزنا؛ فإن الزاني له شهوة في نفسه والديوث ليس له شهوة في زنا غيره، فإذا لم يكن معه إيمان يكره به زنا غيره بزوجته كيف يكون معه إيمان يمنعه من الزنا، فمن استحل أن يترك امرأته تزني استحل أعظم الزنا، ومن أعان علىٰ ذلك فهو كالزاني، ومن أقر علىٰ ذلك مع إمكان تغييره فقد رضيه، ومن تزوج غير تائبة فقد رضي أن تزني إذ لا يمكنه منعها من ذلك فإن كيد النساء عظيم[1].

سادسًا: ومن صور قلة الحياء: سفر المرأة بدون محرم منها.

فعندما تموت الغيرة يسمح الرجل لزوجته أو بنته بالسفر للدراسة وغيرها دون محرم، سواء إلىٰ بلاد إسلامية أو بلاد الكفر، بل تجده يعمل لسفرها ويأتي بالوساطات، ويدفع الأموال لتمنح زوجته أو ابنته أو أخته منحة دراسية إلىٰ إحدىٰ الدول، ويفتخر بذلك أمام الناس أن إحدىٰ نسائه حصلت علىٰ منحة إلىٰ الخارج، فتذهب تقضي عدة أشهر، أو عدة سنوات بمفردها. وقد وقع بعض من ينتسب إلىٰ الحركات الإسلامية في هذا الأمر ـ ولا حول ولا قوة إلا بالله ـ فتراه يسمح لأهله بالسفر إلىٰ الخارج باسم الدعوة إلىٰ الله وحضور المؤتمرات الإسلامية، ولم يعلم هذا الرجل الذي قل علمه، وماتت غيرته أن سفر المرأة

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٣٢٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بلا محرم من الرجال لا يجوز كما ثبتت بذلك الأدلة.

- عن أبي سعيد أن النبي ﷺ: «نهىٰ أن تسافر المرأة مسيرة يومين إلا ومعها زوجها أو ذو محرم[١]».

- عن ابن عباس أنه سمع النبي ﷺ يخطب يقول: «لا يخلوَنَّ رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم، ولا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم، فقام رجل فقال: يا رسول الله! إن امرأتي خرجت حاجَّةً، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا، قال: فانطلق فَحُجَّ مع امرأتك[٢]».

فهذا الرجل كانت امرأته ذاهبة إلىٰ الحج وهو سفر طاعة، وزوجها قد استعد للجهاد، ومع ذلك أمره النبي ﷺ أن يلحق بزوجته.

- وشروط المحرم أن يكون مسلمًا بالغًا ذكراً عاقلاً والحرمة فيه علىٰ التأبيد.

سابعًا: الاختلاط بين الرجال والنساء.

يقول العلامة بكر عبد الله أبو زيد:

وقد تلطف التغريبيون في المكيدة للإسلام، فبدءوا بوضع لبنة الاختلاط بين الجنسين في رياض الأطفال، وبرامج الأطفال في وسائل الإعلام، وركن التعارف بين الأطفال، وتقديم طاقات - وليس باقات - الزهور من الجنسين في الاحتفالات، وهكذا يُخترق الحجاب، ويُؤسَّس الاختلاط، بمثل هذه البدايات التي يستسهلها كثير من الناس[٣]!!

وعندما تضعف الغيرة يهمل الرجل أهله: من بنت، أو زوجة، أو أخت، أو غيرهن، فيختلين بالأجانب من الرجال، والأماكن التي تحصل فيها الخلوة المحرمة كثيرة منها:

أ - **الخلوة في العمل**؛ فكم تقع الخلوة بين الموظفين والموظفات، وهذا مشاهد؛ فبعض المكاتب لا يوجد فيها إلا موظف وموظفة، بل قد تعمل المرأة في الليل، خاصة في المستشفيات المختلطة، سواء كانت طبيبة أو ممرضة، وبحكم العمل فقد تجلس الطبيبة مع الطبيب ساهرين في غرفة واحدة، ينتظران المرضىٰ ليس معهما أحد في الغالب، أما في

---

(١) «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٢٠٥).

(٢) «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٢٠٩).

(٣) «حراسة الفضيلة» (ص١١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أقسام الرقود؛ فهناك غرف خاصة في كل قسم بالممرضة والممرض حتىٰ يتابعا حالة المرضىٰ في الليل، وبالطبع يجلس الرجل مع المرأة بمفردهما يتبادلان الأحاديث الودية بحكم الزمالة، وثالثهما الشيطان، والرجل الديوث في بيته يشاهد الفضائيات، أو يغطُّ في نوم عميق، ولا يرىٰ ماذا يعمل أهله. لا أريد بكلامي هذا أن أطعن في عرض أحد، لكن هذا هو الواقع والغالب في أكثر الوظائف إلا من رحم الله؛ لأن هذا ما يريده لصوص الأعراض وأعداء الفضيلة.

ب - **الخلوة مع الطبيب في عيادته**، بحيث يسمح الرجل لزوجته أن تذهب إلىٰ الطبيب بمفردها تختلي به في العيادة، بل يصل الأمر في بعض الرجال أن يذهب مع أهله إلىٰ الطبيب، وينتظره في الخارج، وزوجته مع رجل أجنبي في غرفة مغلقة، وقد نبهنا سابقًا أنه لا يجوز أن تذهب المرأة إلىٰ طبيب إلا للضرورة.

ج - **الخلوة بالمدرس**، وهذا حاصل في الأسر الثرية؛ حين يأتي الرجل لبنته بمدرس خاص لتعليمها بعض المواد، وقد صارت هذه البنت في المرحلة الثانوية أو الجامعية، وبالطبع لا بد من غرفة خاصة هادئة لا يوجد فيها إلا حضرة الأستاذ وتلميذته، حتىٰ يتمكن المدرس من الشرح وتلميذته من الإصغاء، ويجب أن لا يدخل عليهما أحد، حتىٰ ينتهي الدرس الذي يستغرق ساعة أو ساعتين أو أكثر، والله أعلم ماذا يحصل بالداخل والأب المفضل في سبات عميق، مع أن هذا العمل لا يجوز ولو كان المدرس عالمًا من العلماء؛ فكيف والمدرس فاسق لا دين له، ولا خلق؟ فهذا من باب أوْلىٰ.

د - **خلوة المخطوبة مع خطيبها**، وهذا حاصل حتىٰ عند من يدَّعون الغيرة، وهذا لا يجوز شرعًا؛ لأن الخاطب لا زال أجنبيًا عن هذه المرأة حتىٰ يعقد عليها، وتصبح زوجته، كما أنه لا تُؤْمَن عليها الفتنة والوقوع في الفاحشة؛ فالشيطان حريص علىٰ ذلك أعاذنا الله منه. وليعلم كل مسلم ومسلمة أن الخلوة سبب من أسباب الوقوع في فاحشة الزنا؛ لذلك سدت الشريعة هذا الطريق، وأغلقت هذا الباب؛ حفاظًا علىٰ الأعراض، وحماية للفضيلة. قال رسول الله ﷺ: «لا يخلوَنَّ أحدُكم بامرأة إلا مع ذي محرم»[1].

---

(١) «صحيح ابن خزيمة» (٢/ ١٢٠٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقال رسول الله ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»(١).

وعندما تضعف الغيرة أو تموت، ترىٰ الرجل يتساهل في مسألة اختلاط النساء والرجال، زعمًا منه أن هذه عادة أهله وقبيلته، فترىٰ الجلساء في بيته مختلطين رجالاً ونساء، فيسمح لزوجته أو بنته أو أخته بالجلوس مع الرجال؛ فهذا أخ الزوج، وهذا ابن العم، وابن الخال، وابن الجيران، وما شابه ذلك، مع ما في الاختلاط من مفاسد كثيرة منها: تبرج النساء في هذه المجالس، فيقع النظر المحرم من الرجال للنساء والعكس، ويقع بذلك فتنة عظيمة، فيرىٰ الرجل أن زوجة فلان أجمل من زوجته، وترىٰ الزوجة أن فلانًا وسيم ليس كزوجها ذميمًا، فيقع التقاطع وسوء العشرة.

ومنها إثارة الشهوات بالنظر المحرم، والضحك والمزاح؛ فيستساغ هذا العمل عند الرجل فتموت الغيرة، وعند المرأة فتفقد حياءها.

ومن أماكن الاختلاط المدارس والجامعات المختلطة؛ فلا يجوز لرجل بقي عنده ولو شيء يسير من الغيرة والشرف أن يسمح لمحارمه بالدراسة في هذه الأماكن، بأي حجة من حجج الشيطان، ومن باب أوْلىٰ الفصل في الأماكن المختلطة.

ومثله عندما: يذهب الرجل بأهله من النساء إلىٰ الأماكن المزدحمة، مثل: الأسواق، والحدائق، يزاحمن الرجال؛ فهذا يلتصق بها من أمامها وهذا من خلفها، وهذا عن يمينها، أو شمالها، وأشد حماقة من هذا الرجل ذلك الذي يذهب بأهله إلىٰ الأسواق المزدحمة فتنزل المرأة من السيارة إلىٰ تلك الأسواق تزاحم الرجال وهو منتظر لها في السيارة الساعة والساعتين وكأن أمرها لا يعنيه.

ومنها أيضًا: يسمح الرجل لزوجته أو إحدىٰ محارمه بالعمل خارج المنزل في أماكن مختلطة، مفقود فيها الحياء والشرف، وموجود فيها الاختلاط والنظر المحرم، والخلوة في بعض الأحيان، وهذا كله لا يهم ذلك الرجل الذي قد ماتت غيرته، إنما المهم هو كم المعاش، وليس للشرف والعفاف عنده أي أهمية؛ فالمال عنده كل شيء، فلا مانع لديه من أن تعمل زوجته أو بنته ليلاً أو نهاراً، أو حتىٰ تسافر دون محرم من قرية إلىٰ قرية، ومن مدينة

---

(١) «صحيح البخاري» (١/ ٥٣٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلىٰ مدينة، ويستمر سفرها عدة أيام، أو أشهر؛ وذلك شبيه الرجال وليس برجل، والأمر عنده عادي وطبيعي، ما دام وراء ذلك فائدة مادية ممتازة؛ فسحقًا لمثل هؤلاء الرجال الذين أضاعوا دينهم، وأعراضهم!

ومن ذلك: إطلاق الرجل عنان الحرية لزوجته وبناته دون سقف أو حد.

فعندما تموت الغيرة يسمح الرجل الديوث لزوجته، أو بنته، أو قريبته بمسايرة رجل أجنبي، فيراها تأتي وتذهب مع زميلها في الجامعة، أو الوظيفة علىٰ أقدامهما، أو بالسيارة، وهو لا يحرك ساكنًا، بل قد يشجعها، ويقول: اركبي مع فلان ابن الجيران؛ فمعه سيارة يوصلك علىٰ طريقه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكالسماح لهن بالاحتفاظ بصور الممثلين والمغنيين والرياضيين وغيرهم؛ لأنها معجبة بهم والرجل لا يعارض ذلك؛ لأنه يرىٰ أنها حرة، تحب من تريد، وتعجب بمن تريد؛ فهذا من خصوصياتها، ولا يعلم هذا الرجل الأحمق أن الرجل الغيور لا يرضىٰ أن يتعلق أهله بالرجال الأجانب، كيف وهؤلاء الرجال فسقة منحرفين؟ فكيف يرضىٰ بهذا من لديه شيء من الشهامة والشرف؟ وأشد دياثة من هذا ذلك الرجل الذي يسمح لزوجته أن تحتفظ بصورة حبيبها الأول، زاعمًا أنه يحترم مشاعرها، وحبها القديم؛ فأي ديوث هذا؟ والعياذ بالله.

وربما لا يدري عن أهله شيئًا، ولا يهتم بأمورهم، فهو لا يعلم من دخل بيته، ولا يعلم عن زوجته وبناته أي شيء، متىٰ دخلن البيت، ومتىٰ خرجن منه، ومع من يذهبن، ومع من يأتين؟ فهذا الرجل في غفلة عن أهله الذين سيُسأل عنهم يوم القيامة، مشغول بأمواله وأعماله، يوفر لهم المال، ولا يهتم بتربيتهم ولا بأخلاقهم، وقد حصل بسبب هذا الإهمال قضايا كثيرة؛ فهذا أب يتلقىٰ خبر وفاة بنته التي ذهبت في الصباح إلىٰ الجامعة، والتي من المفترض أن تكون في الجامعة ولكن الخبر جاء بوفاة هذه البنت مع شاب غير معروف في حادث مروري خارج المدينة، وما أكثر القصص التي تحكي أحوال آباء وأزواج غافلين عن أهلهم، لا يعلمون إلا بعد وقوع فضيحة كبيرة؛ عند ذلك يعلم هؤلاء أشباه الرجال بأنهم قصروا فيما كان يجب عليهم فعله، فيندمون حين لا ينفع الندم[1].

---

(١) «موسوعة الأخلاق الإسلامية» (١/ ٤٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل
أسباب ضعف الغيرة

ما دام أن الغيرة سجية من سجايا النفس البشرية، وغريزة من غرائزها الفطرية لذلك لا بد أن هناك أسبابًا أدت إلىٰ موت الغيرة أو ضعفها، ومن الناس من ضعفت غيرتهم في ما حرم الله وذلك لأسباب عديدة، ومن هذه الأسباب:

أولًا: عدم إقامة الحدود الشرعية.

قال الإمام الماوردي:

مهام الخليفة ومسئولياته والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

والرابع: إقامة الحدود؛ لتصان محارم الله تعالىٰ عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك(١).

والله سبحانه وتعالىٰ أوجب إقامة الحدود، سدًا للذريعة إلىٰ الجرائم إذا لم يكن عليها وازع طبيعىٰ، وجعل مقادير عقوباتها وأجناسها وصفاتها بحسب مفاسدها في نفسها وقوة الداعي إليها وتقاضي الطباع لها(٢).

ولهذا لم تشرع الحدود إلا في معصية تتقاضاها الطباع كالزنا والشرب والسرقة والقذف، دون أكل الميتة والرمي بالكفر ونحو ذلك فإنه اكتفىٰ فيه بالتعزير، ثم إنه أوجب علىٰ السلطان إقامة الحدود إذا رفعت إليه الجريمة، وإن تاب العاصي عند ذلك، وإن غلب علىٰ ظنه أنه لا يعود إليها؛ لئلا يفضي ترك الحد بهذا السبب إلىٰ تعطيل الحدود.

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]

يقول شيخ الإسلام:

نهىٰ تعالىٰ عما يأمر به الشيطان في العقوبات عمومًا وفي أمر الفواحش خصوصًا، فإن هذا

---

(١) «الأحكام السلطانية» للماوردي (ص٤٠).

(٢) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (١/ ٣٦٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الباب مبناه علىٰ المحبة والشهوة والرأفة التي يزينها الشيطان بانعطاف القلوب علىٰ أهل الفواحش والرأفة بهم، حتىٰ يدخل كثير من الناس بسبب هذه الآفة في الدياثة وقلة الغيرة إذا رأىٰ من يهوىٰ بعض المتصلين به أو يعاشره عشرة منكرة، أو رأىٰ له محبة أو ميلًا وصبابة وعشقًا، ولو كان ولده رأف به وظن أن هذا من رحمة الخلق ولين الجانب بهم ومكارم الأخلاق، وإنما ذلك دياثة ومهانة وعدم دين وضعف إيمان وإعانة علىٰ الإثم والعدوان وترك للتناهي عن الفحشاء والمنكر. وتدخل النفس به في القيادة التي هي أعظم الدياثة كما دخلت عجوز السوء مع قومها في استحسان ما كانوا يتعاطونه من إتيان الذكران والمعاونة لهم علىٰ ذلك وكانت في الظاهر مسلمة علىٰ دين زوجها لوط عليه السلام وفي الباطن منافقة علىٰ دين قومها لا تقلي عملهم كما قلاه لوط عليه السلام فإنه أنكره ونهاهم عنه وأبغضه، وكما فعل النسوة اللواتي بمصر مع يوسف فإنهن أعن امرأة العزيز علىٰ ما دعته إليه من فعل الفاحشة معها؛ ولهذا قال ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] وذلك بعد قولهن ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ [يوسف: ٣٠]

ولهذا أذن الله للقاذف إذا كان زوجها أن يلاعن: فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، وجعل ذلك يدفع عنه حد القذف كما لو أقام علىٰ ذلك أربعة شهود، لأنه محتاج إلىٰ قذفها لأجل ما أمر الله به من الغيرة، ولأنها ظلمته بإفساد فراشه وإن كانت قد حبلت من الزنا فعليه اللعان لينفي عنه النسب الباطل لئلا يلحق به ما ليس منه، ولا ريب أن محبة الفواحش مرض في القلب فإن الشهوة توجب السكر كما قال تعالىٰ عن قوم لوط: ﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر].

والعزيز قد ظهرت عنه من قلة الغيرة وتمكين امرأته من حَبْسِهِ مع الظالمين -مع ظهور براءته- ما يقتضي أن مثل هذا ينبغي في عادة الطباع أن يقابل علىٰ ذلك بمواقعة أهله، فإن النفس الأمارة تقول في مثل هذا: هذا لم يعرف قدر إحساني إليه وصوني لأهله وكف نفسي عن ذلك؛ بل سلطها ومكنها. فكثير من النفوس لو لم يكن في نفسها الفاحشة إذا رأت من حاله هذا تفعل الفاحشة إما نكاية فيه ومجازاة له علىٰ ظلمه، وإما إهمالًا له لعدم غيرته وظهور دياثته، ولا يصبر في مثل هذا المقام عن الفاحشة إلا من يعمل لله خائفًا منه وراجيًا لثوابه لا من يريد تعرف الخلق بعمله[1] [2]

---

(١) «الحسبة»، ابن تيمية ت الشحود (ص: ٣١)، مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٢٣).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٤٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويقول الدهلوي رحمه الله في كتابه «حجة الله البالغة»:

اعلم أن من المعاصي ما شرع الله فيه الحد، وذلك كل معصية جمعت وجوهًا من المفسدة بأن كانت فسادًا في الأرض واقتضابًا علىٰ طمأنينة المسلمين، وكانت لها داعية في نفوس بني آدم لا تزال تهيج فيها، ولها ضراوة لا يستطيع الإقلاع منها بعد أن أشربت قلوبهم بها، وكان فيه ضرر لا يستطيع المظلوم دفعه عن نفسه في كثير من الأحيان، وكان كثير الوقوع فيما بين الناس، فمثل هذه المعاصي لا يكفي فيها الترهيب بعذاب الآخرة، بل لا بد من إقامة ملامة شديدة عليها وإيلام ليكون بين أعينهم ذلك فيردعهم عما يريدونه. ثم مثل ببعض المعاصي، إلىٰ أن قال: وكالسرقة؛ فإن الإنسان كثيرًا ما لا يجد كسبًا صالحًا فينحدر إلىٰ السرقة ولها ضراوة في نفوسهم، ولا تكون إلا اختفاء بحيث لا يراه الناس(١).

يقول ابن القيم:

ومن المعلوم أن عقوبة الجناة والمفسدين لا تتم إلا بمؤلم يردعهم ويجعل الجاني نكالًا وعظة لمن يريد أن يفعل مثل فعله(٢).

والغيرة علىٰ الحق تتمثل فيمن ينظر إلىٰ الدليل، ويصدع بما أراه الله، وإن كره السائلون .

وتتمثل الغيرة علىٰ الحقِّ فيمن يفسح له بعض الوجهاء في الإكرام مكانة ولا يمنعه ذلك من أن ينظر إلىٰ ما أكرمه الله به من عقل، ورفعه به من علم، فلا يسكت لذلك الوجيه عما يأتي من منكر، ويذهب في تقويمه كل مذهب ممكن.

وفصل القول في هذا أن الغيرة علىٰ الحق والمصلحة ما غلبت علىٰ نفوس الأمة إلا استقامت سيرتها، وعلت في الأمم سمعتها، وحسنت في كلتا الحياتين عاقبتها، ولا حقَّ أجلىٰ مما يدعو إليه الخلَّاق العليم، ولا مصلحة أعظم مما تهدي إليه أصول شرعه الحكيم، فإذا لم نرسم في نفوس نشئنا الغيرة علىٰ حقائق الدين، وما أرشد إليه من مصالح، وما سنَّه من آداب، ضلوا عن أسمىٰ الحقائق، وأضاعوا أكبر المصالح، وتجرَّدوا من أسنىٰ الآداب، وهل غير هذه العاقبة من خسران مبين؟!

---

(١) «حجة الله البالغة» (٢/ ٢٤٥).

(٢) «إعلام الموقعين»، جزء (٢)، (ص ١٠٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فمن أهم واجباتنا أن نربِّي نشأنا علىٰ الشعور بعظمة الله، ثم لا نفتأ نذكر لهم آيات نبوة محمد ﷺ حتىٰ يطمئنوا إلىٰ صحتها، ولا ندع أن نقرِّر لهم أصول الشريعة علىٰ وجه يجعلهم علىٰ بصيرة من حكمتها، وهذا ما يربِّي فيهم الغيرة المهذَّبة، ويعدُّهم لأن يكونوا للحقائق والمصالح أنصارًا.

- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: (أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ. فَكَلَّمَهُ فِيهَا أُسَامَةُ، فَقَالَ: «يَا أُسَامَةُ، أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا» .

وفي هذا الحديث نهي عن التسامح في الغيرة علىٰ حدود الله، فمن الناس من يلهج بكلمة (التسامح) يملأ بها فمه حتىٰ لا تنكر عليه حين تراه قد اتخذ من المضلين أو المفسدين في الأرض أولياء، يطيل التردد علىٰ أعتابهم، ويغمس لسانه أينما جلس في إطرائهم، ويجهد نفسه في تمويه باطلهم؛ أما الرجل يملك قلمًا أو لسانًا أو حسامًا أو جاهًا، فيصرفه في نقض أساس ما هو دين حق، أو شريعة صالحة، فذلك ما لا يتولَّاه إلا غبيٌّ لا يفرِّق بين الأعمىٰ والبصير، أو زائغ عن سبيل الرشد فما له من نور، وقد أنكر الله علىٰ من يتزلَّف لأشياع الغيِّ فقال: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [النساء: ١٣٩] وفي الآية شاهدُ صدقٍ علىٰ أن العزة بيد الله، يخلعها علىٰ من يغار علىٰ الحقائق، غير مكترث بمن يناوئونها، وإن كانوا أُولي جاهٍ أو سلطان.

فمن الغيرة علىٰ الحق أن تقاوم المبطلين أو المفسدين، قاطعًا النظر عن كل صلةٍ وعاطفة؛ ومن التسامح المقبول أن تدفعهم بالتي هي أحسن، حتىٰ كأنك لا تعرف شيئًا من شئونهم غير ما تصديت لمناقشتهم فيه، وذلك ما يستبين به الناس أنك لا تقصد إلا أن تكفَّ بأسهم، وَتَحْمِي النفوس من وباء دعايتهم[1].

---

(١) «الغيرة على الحقائق والمصالح»، محمد الخضر حسين (ت:١٣٧٧هـ)، نشر عام ١٣٤٩هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لذلك حرص النبي ﷺ على إقامة الحدود ومن بعده خلفاؤه الراشدون:

- عن زيد بن أسلم: أن رجلًا اعترف علىٰ نفسه بالزنا علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فدعا له رسول الله ﷺ بسوط، فأتي بسوط مكسور. فقال: «فوق هذا»، فأتي بسوط جديد، لم تقطع ثمرته. فقال: «دون هذا»، فأتي بسوط قد ركب به وَلَانَ، فأمر به رسول الله ﷺ فجلد، ثم قال: «يا أيها الناس، قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله. من أصاب من هذه القاذورة شيئًا فليستتر بستر الله، فإنه من يبدي لنا صفحته نقم عليه كتاب الله»(١).

- عن نافع؛ أن صفية بنت أبي عبيد أخبرته: أن أبا بكر الصديق أتي برجل قد وقع علىٰ جارية بكر فأحبلها، ثم اعترف علىٰ نفسه بالزنا -ولم يكن أحصن- فأمر به أبو بكر فجلد الحد، ثم نفي إلىٰ فدك(٢).

- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني؛ أن رسول الله ﷺ، سئل عن الأمة إذا زنت ولم تحصن؟ فقال: «إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم إن زنت فاجلدوها، ثم بيعوها ولو بضفير» والضفير الحبل(٣).

- عن يحيىٰ بن سعيد؛ أن سليمان بن يسار أخبره؛ أن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب، في فتية من قريش، فجلدنا ولائد من ولائد الإمارة خمسين خمسين في الزنا(٤).

ثانيًا: ضعف الإيمان

وذلك لأن قوي الإيمان يغار في دين الله وله قلب حي مفعم بالإيمان، بخلاف ضعيف الإيمان الذي مات قلبه، فكلما كان العبد أقوىٰ إيمانًا كان أشد حفظًا لنفسه، ولأهله من أي شيء يلوث سمعتهم، أو يقتل حياءهم ودينهم، ولا يضعف الإيمان إلا الذنوب، وإذا

---

(١) «موطأ مالك» ت: الأعظمي (٥/ ١٢٠٥) « .. فوق هذا» أي: لخفة إيلامه؛ «قد ركب به»: فذهبت عقدة طرفه؛ «من يبد لنا صفحته» أي: يظهر لنا ما ستره أفضل من حد أو تعزير.

(٢) «موطأ مالك» ت: الأعظمي (٥/ ١٢٠٦)، «فدك» هي: بلدة بينها وبين المدينة يومان بطريق خيبر.

(٣) «موطأ مالك» ت: الأعظمي (٥/ ١٢٠٧).

(٤) «موطأ مالك» ت: الأعظمي (٥/ ١٢٠٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ضعف الإيمان هان علىٰ العبد مخالفة الدين الصحيح والفطرة السليمة، ولهذا قال رسول الله ﷺ: إن الله يغار وإن المؤمن يغار.

وقد تتمثل قلة الإيمان في الحمية الضعيفة، فقلة الأنفة مما يؤنف منه من التعرض للحرم والزوجة والأمة، واحتمال الذل من الأخساء، وصغر النفس والقماءة وهو أيضا مذموم إذ من ثمراته عدم الغيرة علىٰ الحرام وهو خنوثة، قال ﷺ: «**إن سعدًا لغيور، وأنا أغير من سعد، وإن الله أغير مني**»(١).

وإنما خلقت الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تسامح الناس بذلك لاختلطت الأنساب، ولذلك قيل: كل أمة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في نسائها، ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات، يعني في الدين وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾، بل من فقد الغضب عجز عن رياضة نفسه؛ إذ لا تتم الرياضة إلا بتسليط الغضب علىٰ الشهوة حتىٰ يغضب علىٰ نفسه عند الميل إلىٰ الشهوات الخسيسة، ففقد الغضب مذموم، وإنما المحمود غضب ينتظر إشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب الحمية، وينطفئ حيث يحسن الحلم، وحفظه علىٰ حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده وهو الوسط الذي وصفه رسول الله ﷺ.

عن عبيد بن رفاعة الزرقي، يبلغ به «أن امرأة كانت في بني إسرائيل، فأخذها الشيطان، فألقىٰ في قلوب أهلها أن دواءها عند راهب كذا وكذا، وكان الراهب في صومعته، فلم يزالوا يكلمونه حتىٰ قبلها، ثم أتاه الشيطان فوسوس إليه حتىٰ وقع بها فأحبلها، ثم أتاه الشيطان فقال الآن تفتضح فاقتلها وادفنها، فإن أتوك فقل: ماتت ودفنتها، قال: فقتلها ودفنها، فأتىٰ أهلها فألقىٰ في قلوبهم أنه قتلها ودفنها، فأتوه فسألوه فقال: ماتت ودفنتها، فأتاه الشيطان فقال: أنا الذي أخذتها، وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها أن دواءها عندك، وأنا الذي وسوست إليك حتىٰ قتلتها ودفنتها، وأنا الذي ألقيت في قلوب أهلها أنك قتلتها ودفنتها، فأطعني لتنجو، اسجد لي سجدتين، ففعل فهو الذي قال الله ﷻ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ

---

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ٣٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ﴾ [الحشر: ١٦]»(١).

عندما يظل الإنسان وراء هذه الخطوات لا يستشعر إطلاقًا أن هناك شرًّا قادمًا، بل يرىٰ أن هذا كله من باب الدين والرحمة ولا توجد مشاكل.

وهذا هو الذي عناه الله ﷻ بقوله: ﴿لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [النور:٢١] خطوة بعدها خطوة وأنت لا تدري، حتىٰ يقع المرء في الشرك.

ثالثًا: كثرة اختلاط القرابات بعضهم في بعض.

أخرج الشَّيخان في صحيحيهما من حديث عقبة بن عامر الجهنيِّ ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إيَّاكم والدُّخول علىٰ النِّساء» . فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت» أخرج البخاريُّ هذا الحديث في كتاب النّكاح في باب: لا يخلونَّ رجل بامرأة إلَّا ومعها ذو محرم ... إلخ، ومسلم في كتاب السَّلام في باب: تحريم الخلوة بالأجنبيَّة والدُّخول عليها، فهذا الحديث الصَّحيح صرَّح فيه النَّبيِّ ﷺ بالتَّحذير الشَّديد من الدُّخول علىٰ النِّساء، فهو دليل واضح علىٰ منع الدُّخول عليهنَّ، وسؤالهنَّ متاعًا إلَّا من وراء حجاب؛ لأنَّ من سألها متاعًا لا من وراء حجاب، فقد دخل عليها، والنَّبيُّ ﷺ حذَّره من الدُّخول عليها، ولمَّا سأله الأنصاريُّ عن الحمو الَّذي هو قريب الزَّوج الَّذي ليس مَحْرَمًا لزوجته كأخيه وابن أخيه وعمِّه وابن عمِّه ونحو ذلك، قال له ﷺ: الحمو الموت، فسمَّىٰ ﷺ دخول قريب الرَّجل علىٰ امرأته وهو غير محرم لها باسم الموت، ولا شكَّ أنَّ تلك العبارة هي أبلغ عبارات التَّحذير؛ لأنَّ الموت هو أفظع حادث يأتي علىٰ الإنسان في الدُّنيا.

فتحذيره ﷺ هذا التَّحذير البالغ من دخول الرّجال علىٰ النِّساء، وتعبيره عن دخول القريب علىٰ زوجة قريبه باسم الموت، دليل صحيح نبويٌّ علىٰ أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] عامٌّ في جميع النِّساء- كما ترىٰ-. إذ لو كان حكمه خاصًّا بأزواجه ﷺ، لما حذَّر الرِّجال هذا التَّحذير البالغ العامَّ من الدُّخول علىٰ النِّساء، وظاهر الحديث التَّحذير من الدُّخول عليهنَّ ولو لم تحصل الخلوة بينهما، وهو كذلك، فالدُّخول عليهنَّ، والخلوة بهنَّ كلاهما محرَّم تحريمًا شديدًا بانفراده.

---

(١) «شعب الإيمان» (٧/ ٣١٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ابن حجر:

وتقدير الكلام: اتَّقوا أنفسكم أن تدخلوا علىٰ النِّساء، وتضمَّن منع الدُّخول منع الخلوة بها بطريق الأولىٰ.

- عن عائشة ﵂ قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأوَّل، لمَّا أنزل الله: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ شققن مروطهنَّ فاختمرن بها.

قال ابن حجر:

قوله: فاختمرن: أي غطَّين وجوههنَّ، وصفة ذلك أن تضع الخمار علىٰ رأسها وترميه من الجانب الأيمن علىٰ العاتق الأيسر، وهو التَّقنُّع.

قال الفرَّاء: كانوا في الجاهليَّة تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدَّامها فأمرن بالاستتار.

أنَّ احتجاب المرأة عن الرِّجال وسترها وجهها عنهم ثابت في السُّنَّة الصَّحيحة المفسِّرة لكتاب الله تعالىٰ، وقد أثنت عائشة ﵂ علىٰ تلك النِّساء بمسارعتهنَّ لامتثال أوامر الله في كتابه(١).

- عن أم سلمة، قالت: كنت عند رسول الله ﷺ وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب، فقال النبي ﷺ: «احتجبا منه»، فقلنا: يا رسول الله، أليس أعمىٰ لا يبصرنا، ولا يعرفنا؟ فقال النبي ﷺ: «أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه»(٢).

رابعًا: كثرة الذنوب.

قال ابن القيم:

ومن عقوبات الذنوب: أنها تطفئ من القلب نار الغيرة التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لحياة جميع البدن، فالغيرة حرارته وناره التي تخرج ما فيه من الخبث

---

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ٣٧)، «نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم» (٤/ ١٥١٨)، «الفتح» (٨/ ٤٧٥٨- ٤٧٥٩) . والمروط: جمع مرط، وهو الإزار، «الفتح» (٨/ ٤٧٥٩)، «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٤٩)، «فتح الباري» (٨/ ٣٤٧).

(٢) «سنن أبي داود» (٤/ ٦٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والصفات المذمومة، كما يخرج الكير خبث الذهب والفضة والحديد، وأشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غيرة علىٰ نفسه وخاصته وعموم الناس، ولهذا كان النبي ﷺ أغير الخلق علىٰ الأمة، والله سبحانه أشد غيرة منه، كما ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه قال: «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني» .

وفي الصحيح أيضا عنه أنه قال في خطبة الكسوف: «يا أمة محمد ما أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته»(١).

يقول الإمام ابن القيم: والمقصود أنه كلَّما اشتدَّت ملابسة الذنوب أخرجت من القلب الغيرةَ علىٰ نفسه وأهله وعموم الناس، وقد تضعف في القلب جدًّا حتىٰ لا يستقبح بعد ذلك القبيح، لا من نفسه ولا من غيره. وإذا وصل إلىٰ هذا الحد فقد دخل في باب الهلاك.

وكثير من هؤلاء لا يقتصر علىٰ عدم الاستقباح، بل يحسِّن الفواحش والظلم لغيره، ويزينه له، ويدعوه إليه، ويحثّه عليه، ويسعىٰ له في تحصيله. ولهذا كان الديّوث أخبث خلق الله، والجنة حرام عليه .

وكذلك محلَّل الظلم والبغي لغيره، ومزيّنه له، فانظر ما الذي حملت عليه قلة الغيرة! وهذا يدلّك علىٰ أنّ أصل الدين الغيرة، ومن لا غيرة له لا دين له.

فالغيرة تُحمي القلبَ، فتحمَىٰ له الجوارحُ، فتدفع السوء والفواحش. وعدمُ الغيرة يميت القلبَ، فتموت الجوارح، فلا يبقىٰ عندها دفع البتة.

ومَثَلُ الغيرة في القلب كمثلِ القوة التي تدفع المرض وتقاومه، فإذا ذهبت القوة وجد الداءُ المحل قابلًا، ولم يجد دافعًا، فتمكّن، فكان الهلاك. ومَثَلُها مثل صياصي الجاموس التي يدفع بها عن نفسه وولده، فإذا كُسِرَت طمع فيه عدوّه.

وبيّن الذنوب وبيّن قلّة الحياء وعدم الغيرة تلازم من الطرفين، وكلّ منهما يستدعي الآخر، ويطلبه حثيثًا. ومن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومن لم يستحِ من معصيته لم يستح من عقوبته(٢).

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي «الداء والدواء» (ص٦٦).

(٢) «الداء والدواء» (١/ ١٧٠).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

خامسًا: الجهل بالدين.

الجهل بالدين الإسلامي قد انتشر بين كثير من أبنائه فأصبحوا لا يفرقون بين الحق والباطل والحلال والحرام حتىٰ أرداهم إلىٰ المعاصي والآثام، ونزع منهم باعث الغيرة بسبب هذا الجهل المطبق.

وسبب الجهل بالدين هو البعد عن تعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه: فالإسلام جاء بمكارم الأخلاق، والتي منها الغيرة علىٰ المحارم، وإذا ابتعد العبد عن تعاليم الإسلام بدأت أخلاقه عمومًا، وخلق الغيرة خصوصًا بالانهيار، حتىٰ يصير مُنحلاً أخلاقيًا والعياذ بالله.

سادسًا: رفقة السوء:

فللجلساء تأثير علىٰ الشخص، إن كانوا أهل صلاح كانوا سببًا في صلاحه، وإن كانوا أهل فساد كانوا سببًا في فساده؛ فإذا كان الرجل جلساؤه ممن لا غيرة له، ممن يزعم أنه واقعي عصري، فإنه كلما غضب الرجل علىٰ أهله إذا ارتكبوا ما يخل بالشرف قال له جليس السوء: لا تشدد علىٰ أهلك! الناس كلهم يفعلون هذا، خلهم علىٰ حريتهم، ونحو ذلك.

سابعًا: الغلو في الثقة بالأهل:

إلىٰ حد التعامي عن أمور واضحة بينة تخدش الشرف والعفاف؛ بحيث يتساهل في خروج أهله ودخولهن، يذهبن إلىٰ الأسواق متىٰ شئن، ويرجعن متىٰ شئن، يسافرن دون محرم، يعملن في أماكن لا تخلو من الاختلاط والخلوة، وإذا نُصح قال إنه يثق في أهله، إنهن سيحفظن أنفسهن، ولن يقعن في الرذيلة، وكأنهن معصومات من الخطأ.

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء!

فهذا الرجل يرمي بمحارمه إلىٰ أماكن تقربهن من الفاحشة والرذيلة، ويتعامىٰ عنهن باسم الثقة، حتىٰ يضيع عرضه وشرفه، عند ذلك يعض أصابعه ندمًا بعد فوات الأوان. ويقابل الغلو في الثقة انعدام الثقة عند بعض الرجال؛ فدائمًا ينظر إلىٰ أهله بعين الريبة، يشك فيهم، بل يتهمهم بالفاحشة، عائشًا في أوهام وظنون ليس لها أصل من الصحة، إنما هي مجرد إصغاء لوساوس شياطين الإنس والجن، ونسي قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والجهل بعظم المسئولية تجاه الأهل يكون سببًا في ضعف الغيرة عليهم، فعلىٰ المسلم أن يعلم أهمية الغيرة علىٰ الأعراض، وأن ضد الغيرة الدياثة، وضد الغيور الديوث، وهو الذي يقر الفحش في أهله، ولا غيرة له عليهم، والديوث محروم من دخول الجنة؛ قال رسول الله ﷺ: « ثلاثة قد حرَّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر في أهله الخبث» . والخبث: الفاحشة.

فيجب عليه تربيتهم تربية إسلامية صحيحة، وأن يحميهم من الأقوال البذيئة والأفعال القبيحة، والعقائد الرديئة، والأفكار الدخيلة، والأخلاق السيئة، والسلوكيات الخاطئة، وجلساء السوء، وعليه أن يحرس عرضه متمثلاً بنساء أهل بيته، وأن يغار عليهم من أن يعبث بهن لصوص الأعراض.

وليعلم الرجال أن القوامة لهم علىٰ المرأة شرعًا، ولتعلم ذلك المرأة المسلمة المنقادة لأمر الله ـ تعالىٰ ـ قال ﷻ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: ٣٤].

قال العلامة السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره:

أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله ـ تعالىٰ ـ من المحافظة علىٰ فرائضه، وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضًا بالإنفاق عليهن والكسوة والمسكن.

ثامنًا: إغفال الغيرة في الجانب التربوي مع أهميته .

إن قتل الغيرة هدف من أهداف أعداء الإسلام لتدمير المجتمعات الإسلامية؛ فهم يريدون إفساد المسلمين، وصرفهم عن دينهم وتدمير أخلاقهم بنشر الفواحش ووسائلها من التعليم والوظائف المختلطة، والبعثات العلمية للنساء إلىٰ بلاد الكفر والتبرج والسفور إلىٰ غير ذلك. وبالطبع فإن أهل الغيرة هم عقبة أمام مخططات الأعداء فيجب علىٰ العلماء وطلبة العلم والكتّاب أن يتكلموا ويكتبوا عن هذا الموضوع المهم العظيم مواجهة لأعداء الله ـ تعالىٰ ـ دعاة الفاحشة والرذيلة ولتحيي في نفوس الرجال الغيرة علىٰ الأعراض وحماية المحارم.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فالوعي التربوي لدىٰ أغلب الناس وعي منخفض جدًّا حتىٰ عند المثقفين منهم، فالتربية لا تأخذ عندهم مأخذًا جادًّا كعلم يكتسب، ومهارة تحتاج إلىٰ تدريس، وإنما ينظر إليها أغلب الناس علىٰ أنها شيء تلقائي يدركه الفرد بإحساسه العفوي، فإن أراد الاجتهاد فإنه يضيف شيئًا من خبراته المكتسبة وراثيًا عن طريق ما تعلمه من الآباء(١).

يقول الشيخ محمد أحمد الراشد حفظه الله:

إن محنة المسلمين اليوم لا تقتصر علىٰ تسلط أئمة الضلالة فحسب، بل تعدت ذلك إلىٰ تربية سخرت المناهج الدراسية وكراسي الجامعات والصحف والإذاعات لمسخ الأفكار والقيم، حتىٰ غدا صيد المخططات في سرور -والمقصود: المصيد الذي وقع في الفخ- يحسب نفسه في انعتاق من أسر القديم أي قديم كان، فهو تحرر من التقلد أو التمسك بالقديم، أو صار الآن رجلًا حرًّا متحررًّا.

لقد وقع المسلمون اليوم ضحية لتربية أخلدتهم إلىٰ الأرض، فأرادت لهم الفسوق ابتداءً؛ لتستخف بهم الطواغيت انتهاءً، وإنها خطة قديمة يأخذها الطاغوت اللاحق عن الطاغوت السابق، حتىٰ وصلت وصولها إلىٰ فرعون، وذلك كما يقول الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الزخرف:٥٤].

هذا هو التفسير الصحيح للتاريخ، وما كان فرعون بقادر علىٰ أن يستخف قومه فيطيعوه لو لم يكونوا فاسقين عن دين الله؛ فالمؤمن بالله لا يستجيب للطاغوت، ولا يمكن أن يطيع له أمرًا.

فبلا شك أن الناس أنفسهم ليسوا معفيين عن المسئولية عن الأمر الواضح الذي وصلت إليه الأمة والدين، بل هم السبب في ذلك، وهم سبب أقوىٰ من الحكام في تضييع الإسلام بسبب سفل الهمم، ولولا أنهم كانوا قومًا فاسقين لما سمحوا أن يسب دينهم علىٰ الملأ، وأن تكتب المقالات في أن القرآن فيه أخطاء نحوية! وأنه ليس بالضبط كلام الله سبحانه وتعالىٰ! وغير ذلك من الفظائع التي حصلت والناس لا يبالون، وهؤلاء الناس أنفسهم لو أن السجائر ارتفعت أسعارها أو حصلت هزيمة في مباراة كرة قدم أو مات

(١) دروس الشيخ محمد إسماعيل المقدم (١٥/ ٧).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مطرب أو مغنٍ فإنهم يثورون!

فلا شك أن هؤلاء الناس ممن انطبقت عليهم هذه الأوصاف من الفسق والخروج عن طاعة الله، هم أيضًا ضلع كبير في الصد عن سبيل الله تبارك وتعالىٰ، وضلع في هذا الاستخفاف.

فهؤلاء أدركوا المقتل الذي عرفه فرعون، فتواصوا به، وأخذوا يحولون المجتمعات إلىٰ فتات غارق في وحل الفاحشة والفجور، مشغول بلقمة العيش، ولا يجدها إلا بالكد والعسر والجهد؛ كيلا يفيق بعد اللقمة وبعد الشهوات ليستمع إلىٰ هدىٰ، أو يفيء إلىٰ دين، وصارت تلك سياستهم: سياسة محاربة المساجد بالمراقص، ومحاربة الزوجات بالنساء ذوات الفواحش، ومحاربة العقائد بأساتذة حرية الفكر، ومحاربة فنون القوة بفنون اللذة، وهكذا تحول بهذه التربية ذلك الصقر الإسلامي إلىٰ مثل طائر الحجل.

والحجل: نوع من الطيور، واحده حجلة، وهو طائر أكبر من الحمام يصاد.

فالصقر تحول إلىٰ طائر الحجل مشهور بالوداعة، كما يقول إقبال: إنه الأدب والترويض الذي استعمله أدب الضلال، كما يفعل بالضبط مع الوحش الكاسر المروض في السيرك؛ فإنه يروضه بحيث يصبح في الآخر مقلم الأظفار هادئًا وديعًا لا يزمجر ولا ينفعل، ولا يحرك أي شيء من هذا.

يقول إقبال وهو يصف هذا الأدب:

يسلب السرو جميل الميل	**ويرد الصقر مثل الحجل**
يسخر الركبان باللحن المبين	**ولقاع البحر يهوي بالسفين**
نَوَّمت ألحانه يقظتنا	**أطفأت أنفاسه وقدتنا**

فهو يصف هذا الأدب بأنه يسلب السرو -والسرو: شجر معروف، وواحدته سروة- جميل الميل، ويرد الصقر مثل الحجل، ويسخر الركبان باللحن، يعني: حتىٰ أجهزة تلفزيونه وأفلامه ونحوها تروض الرجل فعلاً، فالرجل أصبح مثل الجمل الذي استنوق، كما نسمع ونرىٰ الرجل في الفيلم أو المسرحية أو التمثيلية تصفعه المرأة! فيضع يديه علىٰ الصفعة، ويضع وجهه في التراب؛ لأنه رجل مروض، قد قلمت أظفاره حتىٰ صار كالجمل الذي استنوق، فهي

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عملية ترويض، فالمرأة تريه هذه الإهانة، وهو يقبلها صاغرًا ذليلًا مهينًا!

ولقـــاع البحـــر يهـــوي بالـــسفين نومـــــت ألحانـــــه يقظتنـــــا

وهذا كما قال الخميني -صدق وهو كذوب-: الموسيقىٰ أفيون الشباب.

أي: تستعمل الموسيقىٰ والأغاني في التخدير كالأفيون.

وقدتنا والوقدة هي: أشد الحر.

ثم قال إقبال: وأشرب الناس الذل بهذا الأذىٰ فطرة وفي نفور من الذل ينفر من الذل، فيأبىٰ علىٰ الحيف، ولكن تحيط بالناس أحوال، وتتوالىٰ عليهم حادثات، فيراضون علىٰ الخضوع حينًا بعد حين، ويسكنون إلىٰ الخنوع حالاً بعد حال؛ حتىٰ يدربوا عليه، كما يُستأنس السبع ويؤلف الوحش، ولكن يبقىٰ في الناس ثمرات من الكرامة، ويبقىٰ في الدماء شذرات من الجمر، فإذا دعا الداعي إلىٰ العزة، وأذن بالحرية، وأيقظ الوجدان النائم، وحرك الشعور الهاجد، نبضت الكرامة في النفس، وبصت الجمرة في الرماد -يعني: لمعت- وأعادت للإنسان إنسانيته، فأبىٰ وجاهد، ورأىٰ كل ما يلقىٰ أهون من العبودية، وأحسن من هذه البهيمية.

ذل من يربط الذليل بعيش رب عيش أخس منه الحمام وكل ذل يصيب الإنسان من غيره ويناله من ظاهره قريب شفاؤه ويسير إزالته.

وهذا أمر في غاية الأهمية، فإذا كان الذل والاستهزاء ناشئ عن عامل خارجي كقهر وكبت أو أي عوامل خارجية فهذا خفيف، وإنما المشكلة هي الأمر الذي يعبر عنه **مالك بن نبي حيث قال:**

ليست المشكلة في الاستعمار، فكون أمة تقهر أمة وتستعمرها ليست هي المشكلة، المشكلة هي قابلية الشعب أن يستعمر، وأن يستذل، فهو في داخل نفسه قابل له، وهو راضٍ به وسعيد جدًّا أنه يذل، حتىٰ كان الناس في بعض الأوقات يقارنون: أيهما أفضل: الاستعمار الروسي أم الاستعمار الأمريكي؟! وأيهما أفضل: اليهود أم كذا؟! وهذا يعكس هذه النفسية التي سقطت فيها الهمة، وسفلت إلىٰ هذا المنحدر، حيث الرضا والخنوع، وأصبح الذل ينبع من الداخل، وليس فقط شيء يفرض علىٰ الإنسان من خارجه، فكل ذل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يصيب الإنسان من غيره ويناله من ظاهره قريب شفاؤه، ويسير إزالته، فإذا نبع الذل من النفس وانبثق من القلب فهو الداء الدوي، والموت الخفي، ولذلك عمد الطغاة المستعبدون إلىٰ أن يشربوا الناس الذل بالتعليم الذليل، وبالتأديب المهين، وتنشئة الناشئة عليه بوسائل شتىٰ؛ ليميتوا الهمة، ويخمدوا الحمية؛ لأن بيدهم العصا والزمام.

ومن تمام لوازم عملية الترويض أن يضيقوا علىٰ دعاة الإسلام؛ ليستبد بالتوجيه التربوي والإذاعي والصحفي أدعياء العلم والشعر والحكمة الذين مضىٰ أمرهم بأسماء منظمات تبدو في ظاهرها مختلفة تزين للجيل الجديد نسل المجاهدين وشبل الأسود أن يكون رقيقًا للشهوات والفواحش والعيش البغيض.

وبدءوا يمحون تراث الأمة التي نهضت به، ويطمسون قصص العلماء؛ حذرًا من أن تكون نبراسًا للجيل يُستدل بها علىٰ طريق العمل.

فذلك قول شاعر الإسلام إقبال:

ليس يخلو زمان شعب ذليل ... من عليم وشائع وحكيم
فرقتهم مذاهب القول لكن ... جميع الرأي مقصد في الصميم
علموا الليث جفلة الظبي وامحوا ... قصص الأسد في الحديث القديم
همهم لقطة الرقيق برق ... كل تأوليهم خداع عليم

أي: أن كل همهم من هذه السياسات أن الرقيق يسخر، ويفرح بالذل الذي هو فيه، ويفتخر بأنه رقيق، وبأنه عبد مستذل ومهين، وقد كان لهم ما أرادوا، فهذا هو عنوان خطة الكيد اليهودي والصليبي:

تعليم الليث الإسلامي جفلة الظبي، يعني: أنه يكون وديعًا هادئًا مستسلمًا لما يملىٰ عليه!

وأيضًا: محو قصص أسود الإسلام من العلماء والزهاد والمجاهدين من تاريخ القرون الفاضلة الأولىٰ لهذه الأمة المجاهدة، وأنتجت خطط التربية ذلك الظبي الجفول الذي لم يعد يقتحم، واستبدل العزم بالهوان والمسارعة بالهرب؛ إنهم هذا الجيل من أبناء

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسلمين، شبل أسد تحول إلىٰ ظبي وديع، وحر استرقوه ففرح بهذا الرق[١].

تاسعًا: التأثر بثقافة الغرب.

ومن ذلك ترك النساء الحجاب والتشبه بنساء أهل الغرب، فعندما تضعف الغيرة في نفوس المسلمين أو تكاد تموت يسمح الرجل لزوجته وبناته -عند ذهابهم إلىٰ بعض البلاد التي لا تلتزم بالحجاب الشرعي للعلاج أو السياحة أو غيرها- بترك الحجاب والتشبه بأهل تلكم البلاد، بل قد يأمرهن بذلك والعياذ بالله، حتىٰ لا ينظر إليه وإلىٰ أهله بأنهم جهلة وغير مثقفين.

يقول القاضي عبد الجبار(ت: ٤١٥هـ) في: تثبيت دلائل النبوة:

ومن سيرتهم - الروم - أن النساء الديرانيات العابدات ومن انقطع إلىٰ البِيَع والعبادة، يطفن علىٰ العزّاب والرهبان، ويخرجن إلىٰ الحصون التي فيها الرجال العزاب يبيحون لهن أنفسهن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة والرحمة بالعزاب، ومن فعل هذا منهن كان عندهن مشكورًا محمودًا علىٰ هذا الفعل ويدعىٰ له، ويقال لها: لا ينسىٰ لك المسيح هذه الرأفة والرحمة.

وعندهم أنه لا يحل للرجل أكثر من امرأة واحدة، ولا يحل له أن يتسرىٰ ولا يطأ بملك اليمين، فإن صادق امرأة أو خادمة لم يكن بذلك بأس ولا عار، وهذا مشهور ببلاد الروم كشهرة الزنىٰ.

ولقد تحدث مصبح الطائي، وأبو عبد الله الحسين بن الصقر، وعبد الرحمن صاحب ابن الزيات وغيرهم من الغزاة، وممن أقام بالقسطنطينية السنين الكثيرة في الأسر وغير الأسر، فإنهم لطول الشقاء وعدم من بعثت المسلمين في فداء أو غزو، أظهروا النصرانية تقية، وانتشروا بينهم، واختلطوا بهم.

فحدَّث من حدَّث منهم بعض من تنصر من الشجعان بعد الشدة وطول الشقاء، قال: فأعطاني الملك وأجزل وقال لخدمه وأعوانه: انظروا لهؤلاء المتنصرة نساء من ذوي اليسار يتزوجون بهن لتحسن أحوالهم، فقال رجل منهم:

فلانة قد مات أبوها، ولها ضيعة ومواش وأموال كثيرة نزوجها بهذا، وأشار إليّ، فزوجوني

---

(١) نقلًا عن: سلسلة علو الهمة - المقدم (١٥/ ٦).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بها. فإذا هناك جمال ومال كثير فأقمت معها مسرورًا ثم ضرب الملك بعثًا علىٰ جماعة أنا منهم ليخرج إلىٰ مكان فيه زرع مستحصد يخاف عليه العدو أن يمنعهم منه، ويكون مقامنا أربعين يومًا، ثم يأتي بعدنا عسكر يقوم مقامنا ونرجع إلىٰ أهلنا، فخرجنا وأقمنا هذه المدة، ثم جاء العسكر فسألت بعض الواردين عن أهلي ومنزلي، فقال لي: قد تزوجت امرأتك بعد خروجك، فاستثبتّ ذلك جيدًا ممن ورد فأخبرت بهذا، فأخذني ما أقامني وأقعدني؛ فلما رجعت إلىٰ البلد عدلت عن منزلي ونزلت سوق الدواب، فسأل أهلي عن الواردين من أهل عسكرنا فأخبروهم بسلامتي وورودىٰ، فتعرفوا مكاني فإذا أم امرأتي قد جاءتني ومعها موكب عظيم من نساء الجيران عليهن البزة الفاخرة والحلي، فقالت لي حماتي: ما لك عدلت عن منزلك وأهلك ونزلت هاهنا ونحن نتعرف أخبارك ونشتاقك، فقلت:

وما أصنع بامرأة غبت عنها فتزوجت بعدي، أنا عليّ أن أدخل علىٰ الملك وأكسر بحضرته سيفي وأقطع زناري وأعرفه ما جرىٰ عليّ. فقالت لي:

أخطأ من قال هذا، ما تزوجت امرأتك وكيف تتزوج رومية بزوجين، إنما ذلك صديقها، لما غبت جاء ونزل عندها. فلما علمنا بقدومك حمل فراشه وانصرف، واستشهدت بأولئك النسوة والجيران، فشهدن أنه ليس بزوج وإنما هو صديقها، وإذا ليس عندهم أن بهذا بأسًا ولا عارًا. ثم أقبلت حماتي تقول لي: قم إلىٰ بيتك فانظر إلىٰ المكنوز والنبيذ وما خلفته تجده لم ينقص بل هو محفوظ موفر، وإذا هي تبشرني في أن صديق امرأتي قد كفاني مؤنتها في غيبتي وتسرني بهذا أو تمن به عليّ. وقال: أولئك النساء وهن حليلات وأزواج كبار الناس، قم عافاك الله إلىٰ بيتك، فما ها هنا شيء يكره ولا ينكر، فقمت وحملت أثقالي وصرت إلىٰ منزلي وأنا مقيم علىٰ امرأتي، وما أجد شيئًا، وزالت الغيرة.

ثم قال يا أبا الفتح: ما يدخل أحد بلاد الروم إلا وقد طابت نفسه باتخاذ امرأته الأصدقاء، وزال عما كان عليه، وامَّحت الغيرة من قلبه، وزالت عنه الحمية وما كان عليه وهو مسلم[1].

قال أسامة بن منقذ في سياق عرضه لمشاهداته وقائع في حياتهم وعرضه لنماذج منها

(١) تثبيت دلائل النبوة (١/ ١٧٢) القاضي عبد الجبار.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تدل علىٰ ذلك بقوله: .. ليس عندهم شيء من النخوة والغيرة، يكون الرجل منهم يمشي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدثا معًا، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طولت عليه خلالها تركها مع المتحدث ومضىٰ[١].

وهكذا يظن الرجل ضعيف الإيمان أنه لا بد من تقليدهم في اللباس والهيئة والسلوك، حتىٰ نتقدم ونتحضر مثلهم؛ لذلك تراه يسمح لنسائه بالتبرج وبالسفر إلىٰ بلاد الكفر للتعلم، أو العمل، أو السياحة بمفردهن، أو مع أفواج مختلطة بين الرجال والنساء دون أن يغار عليهن ويحميهن؛ فعنده الأمر لا حرج فيه؛ فهو ليس رجعيًا متخلفًا، بل هو متحضر واقعي، زعم ذلك.

عاشرًا: التقليد للكفار والمفسدين.

حينما ضيعنا ديننا صرنا نستورد من أعدائنا كل عادة قبيحة وخلق ذميم، وننشرها في المجتمع حتىٰ نشأ فيها الصغير واعتادها الكبير، فأماتت فيه خلق الغيرة، وأصبحت العادات السيئة سنة تتبع، وقد حذر الإسلام من التقليد والتشبه بالكفرة، قال ﷺ: من تشبه بقوم فهو منهم.

يقول القاضي عبد الجبار :

وهذه مجالس الترقية – عند الروم – كما هو مذكور لهم ومرسوم في البلاغ السابع والناموس الأعظم، ثم يرقون من يثقون به بأنه لا يَحْرُمُ عليه أمه ولا ابنته ولا أخته، ولا خمر ولا خنزير ولا زنا ولا لواط ولا ربا، ولا شيء البتة، وأنه لا يحل لك أن تمنع أخاك ومن هو مثلك في البلاغ السابع والعلم الباطن من زوجتك فإنها تحل له كما تحل لك، والاشتراك في الزوجات كالاشتراك في الطعام، والكريم هو الذي تنكح زوجته بحضرته كما يؤكل طعامه بحضرته. وقد قال أفلاطن: الغيرة شح في الطبيعة[٢].

قال الألوسي في روح المعاني:

ثم اعلم أن عندي مما يلحق بالزينة المنهي عنها إبداؤها ما يلبسه أكثر مترفات النساء

---

(١) دعوة المسلمين للنصارى (٢/ ٧٥١).

(٢) دروس الشيخ محمد إسماعيل المقدم (١٥/ ٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في زماننا فوق ثيابهن، ويسترن به إذا خرجن من بيوتهن، وهو غطاء منسوج من حرير ذي عدة ألوان، وفيه من النقوش الذهبية والفضية ما يبهر العيون، وأرىٰ أن تمكين أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك، ومشيهن به بين الأجانب، من قلة الغيرة، وقد عمت البلوىٰ بذلك، ومثله ما عمت البلوىٰ به أيضاً من عدم احتجاب أكثر النساء من إخوان بعولتهن، وعدم مبالاة بعولتهن بذلك،، وكل ذلك مما لم يأذن به الله تعالىٰ ورسوله - ﷺ - وأمثال ذلك كثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

الحادي عشر: فساد الإعلام:

إن لوسائل الإعلام دورًا كبيرًا في إفساد الناس كالإذاعة والتلفاز والصحف والشبكة العنكبوتية وغيرها، فالكثير من هذه الوسائل مليء بالأغاني الفاحشة، والصور الخليعة، والمسلسلات الماجنة التي اعتاد الناس مشاهدتها، فزرع فيهم انعدام الغيرة.

والإعلام الفاسد بوسائله المختلفة مقروءة ومسموعة ومرئية كافي في قتل الغيرة، بل إن الصحافة تسفّلت في النقيصة، فنشرت كلمات بعض المقبوحين بإعلان هواية مقدمات البغاء، مثل: المعاكسة، وقول بعض الوضيعين: إنه يهوىٰ معاكسة بنات ذوي النسب، وهكذا من صيحات التشرد النفسي، والانفلات الأخلاقي.

وهكذا نجد أن للإعلام دوراً مهماً في تشكيل عقول متابعيه، وأفكارهم وسلوكياتهم، والإعلام الموجود هذه الأيام ينشر الفساد والمنكرات والإباحية، والسلوكيات الشاذة عن تعاليم ديننا الإسلامي عبر البرامج المنحرفة، والأغاني الهابطة، والمسلسلات الخليعة، والأفلام القبيحة، والمفاهيم السقيمة الدخيلة التي تظهر الرذيلةَ فضيلةً، والقبيح حسناً، والشر خيرًا، وغير ذلك من المفاهيم التي يقوم الإعلام بقلب حقائقها. وفي عصرنا هذا عصر البث المباشر تنقل لنا القنوات الفضائية عادات وتقاليد، وسلوك أمم الكفر والفجور إلىٰ داخل بيوت المسلمين من خلال أفلام تعرض فاحشة الزنا من البداية إلىٰ النهاية، والأخرىٰ تعرض فاحشة اللواط، وصور نساء عاريات ـ نعوذ بالله من سوء الحال والمنقلب، وتُظهِر هذه المنكرات علىٰ أنها هي التقدم والتحضر، فتولد عند الرجل موتاً للغيرة، فلا حرج إن قلَّدت بنته أو زوجته أو

(١) دروس الشيخ محمد إسماعيل المقدم (١٥/ ٧).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أخته أو غيرهن ممثلة، أو راقصة، أو مغنية في لبسها أو سلوكها.

الثاني عشر: أكل لحم الخنزير:

قال العلماء: ولأن الغذاء يصير جوهرًا من بدن المتغذي فلا بد وأن يحصل للمتغذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلًا من الغذاء، والخنزير مطبوع علىٰ أخلاق ذميمة جدًا منها الحرص الفاحش والرغبة الشديدة في المنهيات وعدم الغيرة؛ فحرم أكله علىٰ الإنسان لئلا يتكيف بتلك الكيفية القبيحة، ومن ثَمَّ لما واظب النصارىٰ سيما الفرنج علىٰ أكله أورثهم حرصًا عظيمًا ورغبة شديدة في المنهيات وعدم الغيرة فإنه يرىٰ الذكر من جنسه ينزو علىٰ أنثاه ولا يتعرض له لعدم غيرته(١).

يقول الإمام القرافي:

أربعًا أكلت أربعًا فأفادتها أربعا أكلت العرب لحوم الإبل فأفادتها الحقد، وأكلت السودان القرود فأفادتها الرقص، وأكلت الفرنج الخنازير فأفادتها عدم الغيرة، وأكلت الترك الخيل فأفادتها القساوة(٢).

الثالث عشر: أكل الحشيشة والأفيون والبانجو:

والشيكران بفتح الشين المعجمة وهو البنج وكالعنبر والزعفران وجوزة الطيب.

قال بعض العلماء:

وفي أكلها مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية: منها أنها تورث الفكرة الرديئة، وتجفف الرطوبات الغريزية وتعرض البدن لحدوث الأمراض، وتورث النسيان، وتصدع الرأس وتقطع النسل، وتجفف المني، وتورث موت الفجأة واختلال العقل وفساده، والدق، والسل والاستسقاء، وفساد الفكر، ونسيان الذكر، وإفشاء السر، وإنشاء الشر، وذهاب الحياء، وكثرة المراء، وعدم المروءة ونقض المودة، وكشف العورة، وعدم الغيرة(٣).

---

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٣٦١).

(٢) الفروق للقرافي = أنوار البروق في أنواء الفروق (٣/ ٩٧).

(٣) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/ ٣٥٨).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قال شيخ الإسلام:

تورثه هذه الملعونة من قلة الغيرة؛ وزوال الحمية حتىٰ يصير آكلها إما ديوثًا، وإما مأبونًا أي: "متهمًا ومعيوبًا "؛ وإما كلاهما. وتفسد الأمزجة[١].

الرابع عشر: اقتراف الزنا.

قال ابن القيم في روضة المحبين:

والزنا يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين وذهاب الورع، وفساد المروءة وقلة الغيرة، فلا تجد زانيا معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة علىٰ صديق، ولا غيرة تامة علىٰ أهله، فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء وعدم المراقبة وعدم الأنفة للحرم وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته[٢].

(١) «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٣/ ٤٣١).

(٢) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٣٦٠).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل

غيرة الأنبياء وغيرة السلف الصالح

غيرة الأنبياء عليهم السلام

غيرة نبي الله لوط -عليه السلام-.

قال لوط عليه السلام لقومه: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ [الأعراف: ٨٠، ٨١] أي: عدلتم عن النساء، وما خلق لكم ربكم منهن إلىٰ الرجال، وهذا إسراف منكم وجهل؛ لأنه وضع الشيء في غير محله؛ ولهذا قال لهم في الآية الأخرىٰ: ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الحجر] فأرشدهم إلىٰ نسائهم، فاعتذروا إليه بأنهم لا يشتهونهن، ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾﴾ [هود] أي: لقد علمت أنه لا أرب لنا في النساء، ولا إرادة، وإنك لتعلم مرادنا من أضيافك.

وذكر المفسرون أن الرجال كانوا قد استغنىٰ بعضهم ببعض، وكذلك نساؤهم كن قد استغنىٰ بعضهن ببعض أيضًا[1].

غيرة نبي الله داود عليه السلام:

- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «كان داود النبي فيه غيرة شديدة، وكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل علىٰ أهله أحد حتىٰ يرجع، قال: فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلىٰ الدار فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل الدار والدار مغلقة؟ والله لتفتضحن بداود. فجاء داود فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود: من أنت؟ قال: أنا الذي لا أهاب الملوك، ولا يمتنع مني شيء. فقال داود: أنت

---

(١) «تفسير ابن كثير» ت سلامة (٣/ ٤٤٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والله ملك الموت فمرحبا بأمر الله. فرمل داود مكانه حيث قبضت روحه حتىٰ فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي علىٰ داود. فأظلت عليه الطير، حتىٰ أظلمت عليهما الأرض فقال لها سليمان: اقبضي جناحا جناحا» قال أبو هريرة يرينا رسول الله - ﷺ - كيف فعلت الطير وقبض رسول الله ﷺ وغلبت عليه يومئذ والمَضْرَحِيَّةُ[(١)].

غيرة نبي الله موسى عليه السلام:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ [طه]، قال ابن عباس: هذا حين قضىٰ الأجل وسار بأهله وهو مقبل من مدين يريد مصر، وكان قد أخطأ الطريق، وكان موسىٰ عليه السلام رجلا غيورا: يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه، لئلا يروا امرأته، فأخطأ الرفقة لما سبق في علم الله تعالىٰ وكانت ليلة مظلمة[(٢)].

غيرة النبي محمد ﷺ.

- غيرته ﷺ علىٰ حرمات الله:

النبي ﷺ أعظم الناس غيرة لله فكان يغضب إذا انتهكت حرمات الله، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما انتقم رسول الله - ﷺ - لنفسه في شيء يؤتىٰ إليه حتىٰ ينتهك من حرمات الله، فينتقم لله[(٣)]. والنماذج والصور علىٰ غيرته ﷺ علىٰ محارم الله كثيرة جدًّا:

غيرته ﷺ علىٰ أهل بيته:

فقد كان أعدل البشر غيرة علىٰ نسائه، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل علي رسول الله ﷺ وعندي رجل قاعد فاشتد ذلك عليه ورأيت الغضب في وجهه، قالت: فقلت: يا رسول الله إنه أخي من الرضاعة، قالت: فقال: «انظرن إخوتكن من الرضاعة فإنما الرضاعة من المجاعة»[(٤)].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤١٩) (٩٤٢٢). والمَضْرَحِيَّةُ: النُّسور، انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٤٥٤).

(٢) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١١/ ١٧١).

(٣) رواه البخاري (٦٨٥٣).

(٤) رواه البخاري (٢٦٤٧) ومسلم (١٤٥٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

قال الحافظ ابن حجر:

والمعنىٰ: تأملن ما وقع من ذلك هل هو رضاع صحيح بشرطه من وقوعه في زمن الرضاعة ومقدار الارتضاع: فإن الحكم الذي ينشأ من الرضاع إنما يكون إذا وقع الرضاع المشترط، قال المهلب: معناه انظرن ما سبب هذه الأخوة فإن حرمة الرضاع إنما هي في الصغر حتىٰ تسد الرضاعة المجاعة(١).

- عن أم سَلمَة رَضِي الله عَنْهَا أن رَسُول الله ﷺ كَانَ عِنْدهَا وَفِي الْبَيْت مخنث فَقَالَ لعبد الله بن أبي أمية أخي أم سَلمَة يَا عبد الله إن فتح الله لكم الطَّائِف غَدًا فَإِنِّي أدلك علىٰ ابْنة غيلَان، فَإِنَّهَا تقبل بِأَرْبَع وتدبر بثمان. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَا يدْخل هَؤُلَاءِ عَلَيْكُم»(٢).

- عن سهل بن سعد قال: اطَّلع رجل من جحر في حجر النبي ﷺ ومع النبي ﷺ مدرىٰ يحك به رأسه، فقال: «لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك، إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»(٣).

فهذا نبي الله ﷺ عندما شعر أن هذا الرجل يطلع من ثقب إلىٰ بيت رسول الله ﷺ أراد أن يطعن في عين الرجل بحديدة كان يحك بها رأسه؛ حماية لعرضه، وغيرة علىٰ أهله، وما منعه إلا أنه لم يتأكد من صحة ظنه.

وكما كان رسول الله ﷺ أشد الخلق غيرة، كان أصحابه -رضوان الله عليهم- أشد الناس غيرة، ونذكر هنا شيئًا من غيرتهم.

- غيرته ﷺ علي أم ولده.

- عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ دخل علىٰ أم إبراهيم مارية القبطية وهي حامل منه بإبراهيم ، وعندها نسيب لها كان قدم معها من مصر وأسلم وحسن إسلامه ، وكان كثيرًا ما يدخل علىٰ أم إبراهيم ، وأنه جَبَّ نفسه فقطع ما بين رجليه حتىٰ لم يبق قليلًا

---

(١) «فتح الباري»، ابن حجر (٩/ ١٤٨).

(٢) «مختصر صحيح الإمام البخاري» (٣/ ٨٨).

(٣) «صحيح البخاري» (٨/ ٥٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ولا كثيرًا ، فدخل رسول الله ﷺ يومًا علىٰ أم إبراهيم ، فوجد عندها قريبها ، فوجد في نفسه من ذاك شيئًا كما يقع في أنفس الناس ، فرجع متغير اللون ، فلقيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فعرف ذلك في وجهه ، فقال: يا رسول الله ، ما لي أراك متغير اللون؟ فأخبره ما وقع في نفسه من قريب مارية ، فمضىٰ بسيفه فأقبل يسعىٰ حتىٰ دخل علىٰ مارية ، فوجد عندها قريبها ذلك ، فأهوىٰ بالسيف ليقتله ، فلما رأىٰ ذلك منه كشف عن نفسه ، فلما رآه عمر رجع إلىٰ رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال: «إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن الله عز وجل قد برأها وقريبها مما وقع في نفسي[١]».

- غيرته ﷺ علىٰ ابنته فاطمة رضي الله عنها.

- عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ رأىٰ فاطمة رضي الله عنها مقبلة فقال: من أين جئت؟ فقالت: رحمت علىٰ أهل هذا الميت ميتهم[٢]».

فرسول الله ﷺ يسأل فاطمة الطاهرة الفاضلة: أين ذهبت؟ ومن أين أتت؟ لا شكًا فيها، وإنما حفاظًا عليها.

- خطب علي بن أبي طالب بنت أبي جهل علىٰ فاطمة، فسمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس في ذلك علىٰ منبره هذا، فقال: «إن فاطمة مني، وإني أتخوف في دينها. قال: ثم ذكر صهرًا له من بني عبد شمس فأثنىٰ عليه في مصاهرته فأحسن قال: حدثني فصدقني ووعدني فأوفىٰ لي، وإني لست أحرم حلالًا ولا أحل حرامًا، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله مكانًا واحدًا أبدًا»[٣].

(١) «اعتلال القلوب» للخرائطي (٢/ ٣٥٦).

(٢) «اعتلال القلوب» للخرائطي (٢/ ٣٥٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٤/ ١٩٠٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غيرة الصحابة رضي الله عنهم

غيرة الصديق أبي بكر رضي الله عنه:

- عن عائشة، قالت: لما نزل هذا، يعني قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ في عائشة، وفيمن قال لها ما قال، قال أبو بكر - وكان ينفق علىٰ مسطح لقرابته وحاجته: والله لا أنفق علىٰ مسطح شيئًا أبدًا، ولا أنفعه بنفع أبدًا بعد الذي قال لعائشة ما قال، وأدخل عليها ما أدخل، قالت: فأنزل الله في ذلك (وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) ... الآية. قالت: فقال أبو بكر: والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجَّع إلىٰ مسطح نفقته التي كان يُنْفِق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا(١).

يقول الإمام الغزالي في «إحياء علوم الدين»:

فحلف أبو بكر أن يقطع عنه رفقه وقد كان يواسيه بالمال فنزلت الآية مع عظم معصية مسطح، وأية معصية تزيد علىٰ التعرض لحرم رسول الله ﷺ وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها إلا أن الصديق رضي الله عنه كان كالمجني عليه في نفسه بتلك الواقعة والعفو عمن ظلم والإحسان إلىٰ من أساء من أخلاق الصديقين.

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أن نفرًا من بني هاشم دخلوا علىٰ أسماء بنت عميس، فدخل أبو بكر الصديق، وهي تحته يومئذ، فرآهم، فكره ذلك، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ وقال: لم أر إلا خيرًا، فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد برأها من ذلك ثم قام رسول الله ﷺ علىٰ المنبر فقال: لا يدخلن رجل، بعد يومي هذا، علىٰ مغيبة، إلا ومعه رجل أو اثنان(٢).

غيرة الفاروق عمر رضي الله عنه:

- عن علي رضي الله عنه قال: «بعثني رسول الله ﷺ وأبا مرثد الغنوي، والزبير بن العوام، والمقداد، وكلنا فارس، فقال: انطلقوا حتىٰ تأتوا روضة خاخ، فإن بها امرأة معها كتاب من

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٩/ ١٣٦).

(٢) رواه مسلم (٢١٧٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

حاطب إلىٰ المشركين. فأدركناها تسير علىٰ بعير لها خبب فقلنا لها: أين الكتاب؟ فقالت: ما معي كتاب. قال: فأنخنا بها، فالتمسنا الكتاب في رحلها، فلم نر كتابا، قال: قلنا: ما كذب رسول الله ﷺ، لتخرجن الكتاب أو لنجردنك. قال: فلما رأت أني أهويت إلىٰ حجزتها، وهي محتجزة بكساء، أخرجت الكتاب من عقاصها، فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلىٰ ناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «يا حاطب، ما هذا؟» قال: لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقًا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من كان معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضاءً بالكفر بعد الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: «إنه قد صدقكم»، فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق. فقال: «إنه قد شهد بدرًا، وما يدريك؟ لعل الله قد اطلع علىٰ أهل بدر. فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١).

- عن أبي سعيد قال: بينا النبي ﷺ يقسِّم إذ جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله قال: «ويلك من يعدل إذا لم أعدل؟» قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: «دعه فإن له أصحابًا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وذكر الحديث وفيه نزلت ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: ٥٨](٢).

- اختصم رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار حتىٰ غضب عبد الله بن أبي، وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن، وقال عبد الله بن أبي: أفعلوها؟ قد نافرونا وكابرونا في بلادنا، والله ما مثلنا ومثلهم إلا كما قال القائل: سمن كلبك يأكلك. أما والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل -يعني بالأعز نفسه وبالأذل رسول الله ﷺ- ثم أقبل علىٰ من حضره من قومه فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لئن أمسكتم عنهم فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عن

(١) «صحيح البخاري» (٤ - ١٥٥٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٣ - ١٣٢١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بلادكم ويلحقوا بعشائرهم ومواليهم؛ فلا تنفقوا عليهم حتىٰ ينفضوا من حول محمد. فقال زيد بن أرقم: أنت والله الذليل القليل المبغض في قومك، ومحمد في عز من الرحمن ومودة من المسلمين، والله لا أحبك بعد كلامك هذا. فقال عبد الله: اسكت فإنما كنت ألعب. فمشىٰ زيد بن أرقم بها إلىٰ النبي ﷺ وذلك بعد فراغه من الغزوة.

وعنده عمر بن الخطاب فقال: دعني أضرب عنقه يا رسول الله فقال: «إذا ترعد له أنف كثيرة بيثرب» فقال عمر: فإن كرهت يا رسول الله أن يقتله رجل من المهاجرين فمر سعد بن معاذ أو محمد بن مسلمة أو عباد بن بشر فليقتلوه. فقال رسول الله ﷺ: «فكيف يا عمر؟ إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه لا، ولكن أذن بالرحيل»(١).

- عن ابن عمر قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»(٢).

وهو الذي أشار علىٰ النبي ﷺ أن يحجب نساءه، وكان عادة العرب أن المرأة لا تحتجب لنزاهتهم ونزاهة نسائهم، ثم قام الإسلام علىٰ ذلك فقال عمر: يا رسول الله ﷺ لو حجبت نساءك فإنه يدخل عليهن البر والفاجر فأنزل الله ﷻ آية الحجاب.

- رفع إلىٰ عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجل قد قتل امرأته ومعها رجل آخر، فقال أولياء المرأة هذا قتل صاحبتنا وقال أولياء الرجل إنه قد قتل صاحبنا.

فقال عمر رضي الله عنه: ما يقول هؤلاء؟ قال: ضرب الآخر فخذي امرأته بالسيف فإن كان بينهما أحد فقد قتلته. فقال لهم عمر: ما يقول؟ فقالوا: ضرب بسيفه فقطع فخذي المرأة فأصاب وسط الرجل فقطعه باثنتين. فقال عمر رضي الله عنه: إن عادوا فعد(٣).

- رفع إلىٰ عمر رضي الله عنه رجل قد قتل يهوديًا، فسأله عن قصته، فقال: إن فلانا خرج غازيًا

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٩٠٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٩٠٠)، ومسلم (٤٤٢)، واللفظ للبخاري.

(٣) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٢/ ٣٨٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأوصاني بامرأته، فبلغني أن يهوديًّا يختلف إليها فكمنت له حتىٰ جاء فجعل ينشد ويقول:

وأشعث غره الإسلام مني ... خلوت بعرسه ليل التمام

أبيت علىٰ ترائبها ويمسي ... علىٰ جرداء لاحقة الحزام

كأن مواضع الربلات منها ... فئام ينهضون إلىٰ فئام

فقمت إليه فقتلته فأهدر عمر دمه(١).

وذكر سفيان بن عيينة عن الزهري عن القاسم بن محمد عن عبيد بن عمير: أن رجلًا أضاف إنسانًا من هذيل: فذهبت جارية لهم تحتطب فأرادها عن نفسها فرمته بفهر فقتلته، فرفع ذلك إلىٰ عمر بن الخطاب ﷺ فقال ذاك قتيل الله لا يودىٰ أبدًا(٢).

- كان عمر بن الخطاب ﷺ يعس بنفسه، فسمع امرأة تقول:

ألا سبيل خمرٍ فأشربها ... أم هل سبيلٌ إلىٰ نصر بن حجاج

إلىٰ فتىٰ ماجد الأخلاق ذي كرمٍ ... سهل المحيا كريمٍ غير ملجاج

فقال عمر: «أما ما دام عمر إمامًا فلا»، فلما أصبح قال: «عليَّ بنصر بن الحجاج»، فأتي به، فإذا هو رجل جميل، فقال: «اخرج من المدينة» قال: «ولم وما ذنبي»؟ قال: «اخرج فو الله ما تساكنني»، فخرج حتىٰ أتىٰ البصرة وكتب إلىٰ عمر ﷺ:

لعمري لئن سيرتني وحرمتني ... ولم آت إثمًا إنّ ذا لحرام

وما لي ذنبٌ غير ظنٍ ظننته ... وبعض تصاديق الظنون إثام

وإن غنت الذلفاء يومًا بمنيةٍ ... فبعض أماني النساء غرام

فظن بي الظن الذي لو أتيته ... لما كان لي في الصالحين مقام

ويمنعها مما تمنت حفيظتي ... وآباء صدقٍ سالفون كرام

ويمنعها مما تمنت صلاتها ... وبيتٌ لها في قومها وصيام

---

(١) «ذم الهوى» ابن الجوزي (١/ ٤٨٨).

(٢) «اعتلال القلوب» للخرائطي (١/ ٩٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فهـذان حالانـا فهـل أنـت مرجعـي فقـد جـب منـي غـاربٌ وسـنام.

قال: فرده عمر بعد ذلك لما وصف من عفته. ويروىٰ أيضًا أن عمر بن الخطاب، ﷺ، كان يعس بالمدينة ذات ليلة، إذ سمع امرأة تهتف وتقول:

تطـاول هـذا الليـل واسـود جانبـه وأرقنـي إذ لا خليـل ألاعبـه

فـو الله لـولا الله لا رب غيـره لزعـزع مـن هـذا السرير جوانبـه

ولكـن ربـي والحيـاء يكفنـي وأكـرم بعلـي أن توطـأ مراكبـه

قال: فرجع عمر إلىٰ منزله، فسأل عن المرأة، فإذا زوجها غائب، فسأل ابنته حفصة: «كم تصبر المرأة عن الرجل»؟ فسكتت، واستحيت، وأطرقت فقال: «أربعة أشهر، خمسة أشهر، ستة أشهر»؟ فرفعت طرفها تعلم أنها لا تصبر أكثر من ستة أشهر، فكتب إلىٰ صاحب الجيش أن يقفل من الغزو الرجال إذا أتت ستة أشهر إلىٰ أهاليهم(١).

غيرة ذو النورين عثمان بن عفان علي حدود الله:

لما ولي عُثْمَان ﷺ، حمد الله وَأثْنىٰ عَلَيْهِ وَقَالَ: أَيهَا النَّاس كتاب الله بَيْنكُم فِيهِ حَلَاله وَحَرَامه فَمن أَتَىٰ حدًا من حُدُود الله فِيهِ وَالله فَتفرق النَّاس وهم علىٰ الْيَقِين من قَتله(٢).

غيرة علي بن أبي طالب ﷺ علىٰ نساء المؤمنين:

يروي عنه أنه لما رأىٰ الأسواق يزدحم فيها الرجال والنساء، قال غيرة علىٰ نساء المسلمين: ألا تستحيون! ألا تغارون أن يخرج نساؤكم؟ فإنه بلغني أن نساءكم يخرجن في الأسواق يزاحمن العلوج. والعلوج هم الرجال الفحول من الأعاجم(٣).

غيرة أم المؤمنين عائشة ﷺ:

- عن عائشة ﷺ زوج النبي ﷺ حدثت، أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلًا. قالت: فغرت عليه، فجاء فرأىٰ ما أصنع. فقال: «ما لك؟ يا عائشة! أغرت؟. فقلت: ومالي

(١) «المحاسن والأضداد» (ص٢٦١).

(٢) «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان» (ص٤٠).

(٣) «مسند أحمد» (٢/ ٣٤٣).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لا يغار مثلي علىٰ مثلك؟. فقال رسول الله - ﷺ -: أقد جاءك شيطانك؟. قالت: يا رسول الله! أو معي شيطان؟. قال: نعم. قلت: ومع كل إنسان؟ قال: نعم. قلت: ومعك؟ يا رسول الله! قال: نعم، ولكن ربي أعانني عليه حتىٰ أسلم(١).

- وعنها أيضًا ﵂ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة علىٰ عائشة وحفصة فخرجنا معه جميعًا، وكان رسول الله ﷺ إذا كان الليل سار مع عائشة يتحدث معها فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك فتنظرين، وأنظر قلت: بلىٰ فركبت حفصة علىٰ بعير عائشة وركبت عائشة علىٰ بعير حفصة فجاء رسول الله - ﷺ - إلىٰ جمل عائشة وعليه حفصة فسلم، ثم سار معها حتىٰ نزلوا، فافتقدته عائشة فغارت فلما نزلت جعلت تجعل رجليها بين الإذخر وتقول يا رب سلط علي عقربًا أو حية تلدغني، رسولك ولا أستطيع أقول له شيئًا(٢).

- وعنها ﵂، قالت: كان رسول الله ﷺ يحب العسل والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر دخل علىٰ نسائه، فيدنو من إحداهن، فدخل علىٰ حفصة بنت عمر، فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرت، فسألت عن ذلك، فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها عكة من عسل، فسقت النبي ﷺ منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالن له، فقلت لسودة بنت زمعة: إنه سيدنو منك، فإذا دنا منك فقولي: أكلت مغافير، فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح التي أجد منك، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربةَ عسل، فقولي له: جرست نحله العرفط، وسأقول ذلك، وقولي أنت يا صفية ذاك، قالت: تقول سودة: فوالله ما هو إلا أن قام علىٰ الباب، فأردت أن أباديه بما أمرتني به فرقًا منك، فلما دنا منها قالت له سودة: يا رسول الله، أكلت مغافير؟ قال: لا. قالت: فما هذه الريح التي أجد منك؟ قال: سقتني حفصة شربة عسل. فقالت: جرست نحله العرفط، فلما دار إلي قلت له نحو ذلك، فلما دار إلىٰ صفية قالت له مثل ذلك، فلما دار إلىٰ حفصة قالت: يا رسول الله، ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي فيه. قالت: تقول سودة: والله لقد حرمناه، قلت لها: اسكتي(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٥).

(٢) رواه البخاري (٥٢٦٨) ومسلم (١٤٧٤) واللفظ للبخاري.

(٣) رواه البخاري (٥٢١١)، ومسلم (٢٤٤٥)، واللفظ له.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غيرة الزبير رضي الله عنه:

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: تزوجني الزبير، وما له في الأرض من مال ولا مملوك - من عبد أو أمة- ولا شيء غير ناضح - بعير يستقىٰ عليه - وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء، وأخرز - من الخرز وهو خياطة الجلود ونحوها- غربه -الدلو الكبير- وأعجن، ولم أكن أحسن أخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوىٰ من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ علىٰ رأسي، وهي مني علىٰ ثلثي فرسخ، فجئت يومًا والنوىٰ علىٰ رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار، فدعاني ثم قال: «إخ إخ» ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس، فعرف رسول الله - ﷺ - أني قد استحييت فمضىٰ، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله - ﷺ -، وعلىٰ رأسي النوىٰ، ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب، فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوىٰ كان أشد علي من ركوبك معه، قالت: حتىٰ أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة الفرس - ترويضها وتدريبها-، فكأنما أعتقني.

فأسماء تذكر غيرة زوجها الزبير، وأنه كان من أشد الناس غيرة علىٰ أهله(١).

غيرة سعد بن عبادة رضي الله عنه:

هذا سعد بن عبادة سيد الخزرج كان مشهورًا بشدة غيرته، قال سعد رضي الله عنه: «لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح، فبلغ ذلك رسول الله -ﷺ - فقال: تعجبون من غيرة سعد؟ والله! لأنا أُغْيَر منه، واللهُ أغْيَر مني».

وفي رواية مسلم: «قال سعد: يا رسول الله! لو وجدت مع أهلي رجلاً لم أمسه، حتىٰ آتي بأربعة شهداء؟ قال: رسول الله ﷺ نعم! قال كلا، والذي بعثك بالحق! إن كنت لأعاجله بالسيف قبل ذلك، قال رسول الله ﷺ: «اسمعوا إلىٰ ما يقول سيدكم! إنه لغيور، وإني لأغير منه، واللهُ أغير مني»(٢).

---

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ٣٦).

(٢) «صحيح مسلم» (٢/ ١١٣٥).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غيرة هلال بن أمية رضي الله عنه:

عن ابن عباس، أن هلال بن أمية، قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك»، فقال: يا رسول الله، إذا رأىٰ أحدنا علىٰ امرأته رجلًا ينطلق يلتمس البينة، فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك» فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [النور: ٦] فقرأ حتىٰ بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٩﴾ [النور] فانصرف النبي ﷺ فأرسل إليها، فجاء هلال فشهد، والنبي ﷺ يقول:

«إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب» ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة - للعذاب الأليم عند الله تعالىٰ إن كنت كاذبة.

قال ابن عباس: فتلكأت - توقفت وتباطأت عن الشهادة - ونكصت - أحجمت عن استمرارها في اللعان - حتىٰ ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم - لا أكون سبب فضيحتهم فيما بقي من الأيام يقال: لهم منكم امرأة زانية، فمضت في إتمام اللعان، فقال النبي ﷺ: «أبصروها - انظروا إليها وراقبوها عندما تضع حملها - فإن جاءت به أكحل العينين - شديد سواد الجفون خلقة من غير اكتحال -، سابغ الأليتين - ضخمهما، خدلج الساقين - ممتلئ -، فهو لشريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: «لولا ما مضىٰ من كتاب الله - ما قضي فيه من أنه لا يحد أحد بدون بينة أو إقرار وأن اللعان يدفع عنها الرجم - لكان لي ولها شأن - كان لي معها موقف آخر أي لرجمتها ولفعلت بها ما يكون عبرة لغيرها»(١).

غيرة الصحابة رضي الله عنهم علىٰ عرض امرأة:

وهذه امرأة مسلمة تذهب إلىٰ سوق يهود بني قينقاع لتبيع لها شيئًا في هذا السوق، فجلست إلىٰ صائغ يهودي، فجعل اليهود يطلبون من هذه المرأة المسلمة أن تكشف لهم وجهها، وهكذا هي عادة اليهود عهر وفجور، ونقض للعهود، فأبت هذه المرأة، ورفضت أن تكشف وجهها، فعمد الصائغ اليهودي إلىٰ طرف ثوبها وربطها إلىٰ ظهرها؛ فلما قامت

(١) «صحيح البخاري» (٦/ ١٠١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

انكشفت عورتها، فضحك اليهود عليها، فجلست وصاحت؛ فأسرع رجل من المسلمين من أهل الغيرة علىٰ حرمات المسلمين إلىٰ الصائغ فقتله، فشدت اليهود علىٰ المسلم فقتلوه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فحاصرهم، ثم أجلاهم عن المدينة. هكذا يفعل أصحاب الغيرة لحماية أعراضهم(١).

غيرة أنصاري علي زوجته:

كان فتىٰ حديث عهد بعرس، فأخذ سلاحه وذهب، فإذا امرأته قائمة بين البابين فهيّأ لها الرّمح ليطعنها فقالت: اكفف حتىٰ ترىٰ ما في بيتك فإذا بحيّة علىٰ فراشه، فركز فيها الرّمح فانتظمها فيه، ثم خرج به فنصبه في الدار، فاضطربت الحيّة في رأس الرّمح، وخرّ الفتىٰ ميّتًا، فما يُدْرىٰ أيهما كان أسرع موتًا: الفتىٰ أم الحية؟(٢).

الأشعث بن قيس رضي الله عنه وضيفه:

عن الأشعث بن قيس قال: ضفْتُ عمر فتناول امرأته فضربها، وقال: يا أشعث، احفظ عني ثلاثًا حفظتُهُن عن رسول الله ﷺ: «لا تسأل الرجل فيم ضرب امرأته، ولا تنم إلا علىٰ وتر» ونسيت الثالثة(٣).

غيرة أم المؤمنين أم حبيبة علىٰ فراش رسول الله ﷺ من أبيها قبل إسلامه:

- إن أبا سفيان قدم المدينة قبلَ إسلامِه، فدخل علىٰ أمِّ حَبِيبة، وأراد أن يجلس علىٰ فراش رسولِ الله ﷺ، فَمَنعَتْه من ذلك، فقال: يا بنية أَرَغِبْتِ بهذا الفراش عني، أم رَغِبْتِ بي عنه؟ قالت: بل هو فراشُ رسولِ الله ﷺ، وأنت امرؤٌ نجس مشرك، فقال: لقد أصابك بعدي شرٌّ(٤).

غيرة أخت عمر بن الخطاب علىٰ المصحف من عمر وهو يومئذ مشرك:

قال لنا عمر: أتحبون أن أعلمكم بدو إسلامي؟ قلنا: نعم، قال: كنت من أشد الناس

---

(١) «سيرة ابن هشام»، (٢/ ٢٣٩).

(٢) «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد» (٤/ ٣٨١).

(٣) «مسند أحمد» ت شاكر (١/ ٢١٩).

(٤) «مسند أحمد» ط الرسالة (٤٤/ ٣٤٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

علىٰ رسول الله ﷺ، فبينا أنا في يوم حار في بعض طرق مكة إذ لقيني رجل من قريش فقال: أين تذهب يا ابن الخطاب؟ قال: قلت: أريد هذا الذي الذي[1]، قال: عجبًا لك تزعم أنك هكذا، وقد دخل عليك هذا الأمر بيتك، قلت: وما ذاك؟ قال: أختك قد صبت، قال: فرجعت مغضبًا، وقد كان رسول الله ﷺ يجمع الرجل والرجلين إذا أسلما عند الرجل به قوة يصيبان من طعامه، قال: وقد كان ضم إلىٰ زوج أختي رجلين، فجئت حتىٰ قرعت الباب، قال: من هذا؟ قلت: ابن الخطاب، قال: وكانوا يقرءون صحيفة معهم، فلما سمعوا صوتي اختفوا ونسوا الصحيفة، فقامت المرأة ففتحت لي، فقلت: يا عدوة نفسها، قد بلغني أنك صبوت، وأرفع شيئًا في يدي فأضربها، فسال الدم، فلما رأت الدم بكت وقالت: يا ابن الخطاب، ما كنت فاعلًا فافعل، فقد أسلمت، قال: فجلست علىٰ السرير فنظرت، فإذا بكتاب في ناحية البيت، فقلت: ما هذا؟ أعطِينِيهِ، قالت:

لست من أهله، إنك لا تغتسل من الجنابة، ولا تطهر، وهذا لا يمسه إلا المطهرون.

فلم أزل بها حتىٰ أعطتنيه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة، ثم رجعت فإذا فيه: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝١﴾ [الحديد]، كلما مررت باسم من أسماء الله ذعرت، ثم رجعت إلىٰ نفسي، حتىٰ بلغت ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧] إلىٰ قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الحديد: ٨]، فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله[2].

- كانت امرأة بنيسابور حملت زوجها إلىٰ القاضي تدعي عليه خمسمائة دينار فأنكر الرجل، فاستدعىٰ القاضي منها إحضار الشهود فأحضرتهم، فقالوا: حتىٰ نكشف عن وجهها ثم نشهد فهمّت أن تسفر عن وجهها فصاح الرجل وأدركته الغيرة، وقال: أنتم تريدون أن تنظروا إلىٰ وجه زوجتي أيها القاضي أشهد أن لها عليّ حقًّا واجبًا ستمائة دينار. فتعجب القاضي والحاضرون من حميته وغيرته، فقالت المرأة: أيها القاضي أشهدك أنه بريء من حقي، وإني قد أحللته من ذلك. فتعجبوا غاية العجب ثم قال القاضي اكتبوه

---

(١) كذا في الأصل، ولعله يكني مما قاله إكرامًا للنبي ﷺ وفي بعض الروايات قال: هذا الصابئ.

(٢) «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١/ ٢٨٦).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وضعوه في باب الفتوة[١].

غيرة عبد الله بن عمر علي زوجته:

وذكر حماد بن زيد عن أيوب عن ابن أبي مليكة أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع امرأته تكلم رجلًا من وراء جدار بينها وبينه قرابة لا يعلمها ابن عمر فجمع لها جرائد ثم ضربها حتىٰ أضبت حسيسًا[٢].

غيرة معاذ بن جبل وامرأته:

وذكر الخرائطي عن معاذ بن جبل ﷺ أنه كان يأكل تفاحًا ومعه امرأته فدخل عليه غلام له فناولته تفاحة قد أكلت منها فأوجعها معاذ ضربًا.

ودخل يومًا علىٰ امرأته وهي تطَّلع في خباء أدم فضربها[٣].

غيرة أبو جندب علىٰ زوجته:

ذكر حماد بن سلمة عن القاسم بن محمد أن أبا السيارة أولع بامرأة أبي جندب يراودها عن نفسها، فقالت: لا تفعل فإن أبا جندب إن يعلم بهذا يقتلك. فأبىٰ أن ينزع، فكلمت أخا أبي جندب فكلمه فأبىٰ أن ينزع، فأخبرت بذلك أبا جندب، فقال أبو جندب: إني مخبر القوم أني أذهب إلىٰ الإبل فإذا أظلمت جئت فدخلت البيت، فإن جاءك فأدخليه علي. فودع أبو جندب القوم وأخبرهم أني ذاهب إلىٰ الإبل، فلما أظلم الليل جاء فكمن في البيت، وجاء أبو السيارة وهي تطحن في ظلها فراودها عن نفسها، فقالت: ويحك أرأيت هذا الأمر الذي تدعوني إليه هل دعوتك إلىٰ شيء منه قط. قال: لا ولكن لا أصبر. عنك قالت أدخل البيت حتىٰ أتهيأ لك. فلما دخل البيت أغلق أبو جندب الباب ثم أخذه فدقه من عنقه إلىٰ عجب ذنبه، فذهبت المرأة إلىٰ أخي أبي جندب فقالت: ادرك الرجل فإن أبا جندب قاتله. فجعل أخوه يناشده فتركه، وحمله أبو جندب إلىٰ مدرجة الإبل فألقاه، فكان إذ مر به إنسان: قال له ما شأنك؟ فيقول: وقعت من بكر فحطمني.

---

(١) «مفيد العلوم ومبيد الهموم» (ص٣٥٨).

(٢) «اعتلال القلوب» للخرائطي (٢/ ٣٥٩).

(٣) «اعتلال القلوب» للخرائطي (٢/ ٣٥٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وبلغ الخبر عمر رضي الله عنه فأرسل إلىٰ أبي جندب فأخبره بالأمر علىٰ وجهه، فأرسل إلىٰ أهل المرأة فصدقوه، فجلد عمر أبا السيارة مائة جلدة وأبطل ديته(١).

عمرو بن حممة الدوسي وامرأة فتنت به:

ذكر العباس بن هشام الكلبي عن أبيه أن عمرو بن حممة الدوسي أتىٰ مكة حاجًّا، وكان من أجمل العرب، فنظرت إليه امرأة فقالت: لا أدري وجهه أحسن أم فرسه. وكانت له جمة تسمىٰ الزينة فكان إذا جلس مع أصحابه نشرها وإذا قام عقصها، فقالت له المرأة: أين منزلك؟ قال: نجد قالت: ما أنت بنجدي ولا تهامي فاصدقني. فقال: رجل من أهل السراة فيما بين مكة واليمن، ثم أشار إليها ارتدفي خلفي ففعلت، فمضىٰ بها إلىٰ السراة وتبعها زوجها فلم يلحقها فرجع، فلما استقرت عنده قطع عروقها، وقال: والله لا تتبعين بعدي رجلًا أبدًا. ثم ردها إلىٰ زوجها علىٰ تلك الحال(٢).

غيرة حسان بن ثابت:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال إن أودىٰ فأجمعه ... ولست للعرض إن أودىٰ بمحتال

وقوله رضي الله عنه:

(أصون عرضي بمالي)، يريد أني أجعل المال واقية لحسبي ونسبي، فأصونه ولا أدنسه بتثميره وتوفيره، وإن تقلدت العار له واكتسبت الإثم الفاحش في فلا بارك الله في المال بعد النفس، لأن المال يحتاج إليه لتنتفع به النفس، ولتتنزه عن المعايب والمقاذر بإنفاقه.

وقوله: (أحتال للمال إن أودي فأجمعه)، يريد أن المال إذا استهلكه منفقه أمكن الاعتياض منه، ونفذ الاحتيال في جمعه وتثميره، وإذا هلك العرض فلا طريق إلىٰ رده إلىٰ ما كان عليه، ولا استطاعة في تنقيته من درن العار وقد جعل وقاية للمال(٣).

---

(١) «اعتلال القلوب» للخرائطي (١/ ٩٩).

(٢) «روضة المحبين ونزهة المشتاقين» (ص٣٠٣).

(٣) «شرح ديوان الحماسة» (ص١١٨٤).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

غيرة سليمان بن عبد الملك:

- حكىٰ عن سليمان بن عبد الملك أنه كان في بعض أسفاره، فسمر معه قوم، فلما تفرقوا عنه، دعا بوضوء، فجاءت به جارية، فبينا هي تصب الماء علىٰ يده، إذ استمدها، وأشار إليها مرتين أو ثلاثاً فلم تصب عليه، فأنكر ذلك، ورفع رأسه، فإذا هي مصغية بسمعها، مائلة بجسدها إلىٰ صوت غناء من ناحية العسكر، فأمرها فتنحت، فسمع الصوت فإذا رجل يغني، فأنصت له حتىٰ فهم ما غنىٰ، فدعا بجارية غيرها فتوضأ، فلما أصبح، أذن الناس، فأجرىٰ ذكر الغناء، فلم يزل يخوض فيه حتىٰ ظن القوم أنه يشتهيه؛ فأفاضوا فيه وذكروا ما جاء في الغناء، والتسهيل لمن سمعه، وذكروا من كان يسمعه من سروات الناس، فقال: «هل بقي أحد يسمع منه» ؟ فقال رجل من القوم: «عندي رجلان من أهل الأبلة محكمان»، قال: «فأين منزلك من العسكر» ؟ فأومأ إلىٰ ناحية الغناء، فقال سليمان: «ابعث إليهما»، ففعل، فوجد الرسول أحدهما وأقبل به، وكان اسمه سمير، فسأله عن الغناء، وكيف هو فيه، قال: «محكم»، قال: «متىٰ عهدك به»؟

قال: «البارحة»، قال: «وفي أي النواحي كنت»؟ فذكر الناحية التي سمع منها الصوت قال: «وما اسم صاحبك» ؟ قال: «سنان» فكان مما غناه الجارية:

محجوبة سمعت صوتي فأرّقها ... من آخر الليّل لما بلها السحر

تدني علىٰ الخد منها من معصفرةٍ ... والحلي باد علىٰ لباتها خصر

في ليلة البدر ما يدري مضاجعها ... أوجهها عنده أبهىٰ أم القمر

لم يمنع الصوت أبوابٌ ولا حرسٌ ... فدمعها لطروق اللحن ينحدر

لو تستطيع مشت نحوي علىٰ قدمٍ ... تكاد من رقةٍ للمشي تنفطر

قال: فأقبل سليمان علىٰ القوم فقال: «هدر الفحل فضبعت الناقة، ونب التيس فشكرت الشاة، وهدل الحمام فزافت الحمامة، وغنىٰ الرجل فطربت المرأة»، ثم أمر به فخصي، وسأل عن الغناء أين أصله؟ قالوا:

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

«بالمدينة وهم المخنثون»، فكتب إلىٰ عامله أن أخص من قبلك من المخنثين[١].

غيرة موسى الهادي رَحِمَهُ اللَّهُ في سحاق النساء:

- عن علي بن يقطين، قال: كنت عند موسىٰ الهادي، ذات ليلة، مع جماعة من أصحابه، إذ أتاه خادم فساره بشيء، فنهض سريعًا فقال: «لا تبرحوا»؛ فمضىٰ فأبطأ، ثم جاء وهو يتنفس ساعة، حتىٰ استراح ومعه خادم يحمل طبقًا مغطًى بمنديل، فقام بين يده، فأقبل يرعد، وعجبنا من ذلك، ثم جلس، وقال للخادم: «ضع ما معك» فوضع الطبق، وقال: «ارفع المنديل» فرفعه فإذا علىٰ الطبق رأسا جاريتين لم أر والله أحسن من وجهيهما قط، ولا من شعورهما، فإذا علىٰ رأسيهما الجوهر منظوم علىٰ الشعر، وإذا رائحة طيبة تفوح فأعظمنا ذلك، فقال: «أتدرون ما شأنهما»؟

قلنا: «لا» قال: «بلغني إنهما تحابا، فوكلت هذا الخادم بهما لينهي إلي أخبارهما، فجاءني وأخبرني إنهما قد اجتمعتا، فجئت فوجدتهما كذلك في لحاف، فقتلتهما» ثم قال: «يا غلام! ارفع» ورجع في حديثه، كأنه لم يصنع شيئًا[٢].

غيرته علىٰ جاريته:

كانت للربيع جارية يقال لها «أمة العزيز»، فأهداها للمهدي، فلما رأىٰ حسنها وجمالها وهيئتها قال: «هذه لموسىٰ أصلح»، فوهبها له، فكانت أحب الخلق إليه، وولدت له بَنِيَّه الأكابر. ثم إن بعض أعداء الربيع قال لموسىٰ إنه سمع الربيع يقول: «ما وضعت بيني وبين الأرض مثل أمة العزيز» فغار موسىٰ، فدعا الربيع، فتغدىٰ معه، وناوله كأسًا فيه شراب؛ فقال الربيع: «فعلمت أن نفسي فيها وإني إن رددته من يدي ضرب عنقي، فشربتها وانصرفت»، فجمع ولده وقال: «إني ميت»، فقال الفضل ابنه: «ولم تقول ذلك، جعلت فداك» ؟

قال: «إن موسىٰ سقاني شربة فأنا أجد عملها في بدني»، ثم أوصىٰ بماله ومات في يومه[٣].

---

(١) «المحاسن والأضداد» (ص٢٦٣).

(٢) «المحاسن والأضداد» (ص٢٦٥).

(٣) «المحاسن والأضداد» (ص٢٦٥).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأتـــرك حبّهـــا مـــن غيـــر بغـــض ... وذاك لكثـــــرة الـــــشركاء فيـــــه

إذا وقـــع الـــذباب علـــىٰ طعـــام ... رفعـــت يـــدي ونفـــسي تـــشتهيه

وتجتنـــــب الأســـــود ورود مـــــاء ... إذا كـــان الكـــلاب ولغـــن فيـــه[1]

(١) «حياة الحيوان الكبرى» (١/ ١١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل

سد الذرائع المفضية إلى ضعف الغيرة

لقد تعبَّد الله نساء المؤمنين من فرض الحجاب، وحفظ الحياء والعفة والاحتشام، والغيرة علىٰ المحارم، والتحذير مما حرّمه الله ورسوله من حرب الفضيلة بالتبرج والسفور والاختلاط، وتفقأ الحصرم في وجوه خونة الفضيلة، ودعاة الرذيلة، ليقول لسان حال العفيفة:

إليـــك عنـــي إليـــك عنـــي فلـــست منـــك ولـــست منـــي[1]

ولِيُثَبِّت الله بها من شاء من عباده علىٰ صيانة محارمهم وصون نسائهم من هذه الدعوات، وأنه لا مجال لحمل شيء منها محمل إحسان، لما يشاهده المسلمون من تيار الخلاعة والمجون والسفور، وشيوع الفاحشة في عامة المجتمعات الإسلامية التي سرت فيها هذه الدعايات المضللة.

بل إن الصحافة تسفّلت في النقيصة، فنشرت كلمات بعض المقبوحين بإعلان هواية مقدمات البغاء، مثل: المعاكسة، وقول بعض الوضعيين: إنه يهوىٰ معاكسة بنات ذوي النسب، وهكذا من صيحات التشرد النفسي، والانفلات الأخلاقي.

وليتق الله امرؤ من أب أو ابن أو أخ أو زوج ونحوهم، ولاّه الله أمر امرأة أن يتركها تنحرف عن الحجاب إلىٰ السفور، ومن الإحتشام إلىٰ الإختلاط، والحذر من تقديم أطماع الدنيا وملاذّ النفوس علىٰ ما هو خير وأبقىٰ من حفظ العِرض، والأجر العريض في الآخرة.

وعلىٰ نساء المسلمين أن يتقين الله، وأن يسلمن الوجه لله، والقيادة لمحمد بن عبد الله ﷺ، ولا يلتفتن إلىٰ الهمل دعاة الفواحش والأفن[2].

ولَمَّا حرَّم الله الزنىٰ حَرَّم الأسباب المفضية إليه، للقاعدة الشرعية:

---

(١) «حراسة الفضيلة» بكر أبو زيد (١/ ٨).

(٢) «حراسة الفضيلة» (ص١٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أن الله سبحانه إذا حرّم شيئًا حرّم الأسباب والطرق والوسائل المفضية إليه، تحقيقًا لتحريمه، ومنعًا من الوصول إليه، أو القرب من حماه، ووقاية من اكتساب الإثم، والوقوع في آثاره المضرة بالفرد والجماعة.

ولو حرَّم الله أمرًا، وأبيحت الوسائل الموصلة إليه لكان ذلك نقضًا للتحريم، وحاشا شريعة رب العالمين من ذلك.

قال ابن القيم:

والزنىٰ يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين، وذهاب الورع، وفساد المروءة، وقلة الغيرة، فلا تجد زانيًا معه ورع، ولا وفاء بعهد ولا صدق في حديث، ولا محافظة علىٰ صديق، ولا غيرة تامة علىٰ أهله فالغدر والكذب والخيانة وقلة الحياء، وعدم الأنفة للحرم، وذهاب الغيرة من القلب من شعبه وموجباته.

ومنها أن الزنىٰ يجرئه علىٰ قطيعة الرحم وعقوق الوالدين، وكسب الحرام، وظلم الخلق وإضاعة أهله وعياله، وربما قاده قسرًا إلىٰ سفك الدم الحرام، وربما استعان عليه بالشرك وبالسحر، وهو يدري ولا يدري فهذه المعصية لا تتم إلا بأنواع من المعاصي قبلها وبعدها، ويتولد عنها أنواع أخر من المعاصي بعدها.

فهي محفوفة بجند من المعاصي قبلها وجند بعدها، وهي أجلب شيء لشر الدنيا.

وفاحشة الزنىٰ من أعظم الفواحش، وأقبحها وأشدها خطرًا وضررًا وعاقبةً علىٰ ضروريات الدين، ولهذا صار تحريم الزنىٰ معلومًا من الدين بالضرورة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء]، لهذا حرِّمت الأسباب الموصلة إليه من: السفور ووسائله، والتبرج ووسائله، والاختلاط ووسائله، وتشبه المرأة بالرجل، وتشبهها بالكافرات.. وهكذا من أسباب الرِّيبة، والفتنة، والفساد(١).

وتأمَّل هذا السر العظيم من أسرار التنزيل، وإعجاز القرآن الكريم، ذلك أن الله سبحانه وتعالىٰ لما ذكر في فاتحة سورة النور شناعة جريمة الزنىٰ وتحريمه تحريمًا قاطعًا، ذكر سبحانه من فاتحتها إلىٰ تمام ثلاث وثلاثين آية أربع عشرة وسيلة وقائية تحجب هذه

(١) «روضة المحبين» (ص٣٥٨، ٣٦١).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الفاحشة، وتقاوم وقوعها في مجتمع الطهر والعفاف جماعة المسلمين، وهذه الوسائل الواقية: فعلية، وقولية، وإرادية، ومنها:

تطهير الزناة والزواني بالعقوبة الحدية، والتطهر باجتناب نكاح الزانية وإنكاح الزواني إلا بعد التوبة ومعرفة الصدق فيها.... وهاتان وسيلتان واقيتان تتعلقان بالفعل.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن الوسائل التي اتخذتها الشريعة

غيرة على الأعراض

أنها سدت الأبواب المفضية إلىٰ ضعف الغيرة وانتهاك الحرمة، وقطعت الأسباب المفضية إلىٰ ذلك.

وهو ما يعرف بسد الذرائع، فمن ذلك:

- **أولًا: تطهير الألسنة عن رمي الناس بفاحشة الزنىٰ، ومَن رماهم ولا بيِّنة له فيُشرع حد القذف في ظهره.**

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ جاءه أعرابي فقال: يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال: «هل لك من إبل؟» قال: نعم، قال: «ما ألوانها؟» قال: حمر، قال: «هل فيها من أورق؟» قال: نعم، قال: «فأنىٰ كان ذلك؟» قال: أراه عرق نزعه، قال: «فلعل ابنك هذا نزعه عرق»(١).

فانظر كيف شرع النبي ﷺ شرعة وَضَّاحة صافية لا مجال فيها لنزعات الوهم، وعثرات الوسواس، وكيف اتَّقاها ووَقىٰ الناس شرها من التباس الشك واحتكام الظنون.

إن في دفع النبي ﷺ شر التهمة عن امرأة الأعرابي لدليلًا لا يقبل الشك علىٰ براءتها، وطهارة عرضها. فما كان الرجل فاعلًا لو كان في عهد جاهليته ولم يهتد بِقَبس من نور النبوّة؟ ليس بين يديه إلا أن يفتك بها ويروي غليل نفسه بنقيع دمها، أو أن يتلمس العرّافين والمنجمين ليُلقوا إليه بالكلمة الحمقاء فيكون لها ما بعدها. وليس وراء الحالتين إلا عار الدهر، وذلّ الأبد.

لذلك تحامىٰ المسلمون مواطن الظَن، ومداحض التهم، حتىٰ عُدَّ الاعتساف في الغيرة سِمَة من الحمق، لا يستحقُّ صاحبها أن يُسَوَّد أو يطاع. ومن ذلك ما قال معاوية ابن أبي سفيان: ثلاث من السؤدد: الصلع، واندحاق البطن، وترك الإفراط في الغيرة.

---

(١) «صحيح البخاري» (٨/ ١٧٣).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد ظهر في المسلمين كثيرون ذمُّوا الإفراط في الغيرة، وتوكيل الريب والظنون بالمرأة؛ ومما سار من القول في ذلك، وحفل بوضوح الرأي فيه، قول مسكين الدارمي:

وإني امرؤ لا آلف البيت قاعدًا ... إلىٰ جنب عِرسي لا أفرطها شبرًا

ولا مقسم لا أبرح الدهر بيتها ... لأجله قبل الممات لها قبرًا

إذا هي لم تحصن أمام قبابها ... فليس بمنجيها بنائي لها قصرًا

ولا حاملي ظني ولا قيل قائل ... علىٰ حائط حتىٰ أحيك بها خبرًا

فهبني امرؤ راعيت ما دمت شاهدًا ... فكيف إذا ما سرت من بيتها شهرًا[1]

ثانيًا: نهىٰ النساء عن الضرب بالأرجل:

قال ابن القيم: قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]. فمنعهن من الضرب بالأرجل، وإن كان جائزًا في نفسه لئلا يكون سببًا إلىٰ سمع الرجال صوت الخلخال فيثير ذلك دواعي الشهوة منهم إليهن، وهذا المنهي عنه- من وسائل الإغراء والإشارة- هو نهي تحريم[2].

قال الحافظ ابن كثير:

كانت المرأة في الجاهلية إذا كانت تمشي في الطريق وفي رجلها خلخال صامت لا يعلم صوتها ضربت برجلها الأرض فيسمع الرجال طنينه، فنهىٰ الله المؤمنات عن مثل ذلك، وكذلك إذا كان شيء من زينتها مستورًا فتحركت بحركة لتظهر ما هو خفي دخل في هذا النهي لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

ثالثًا: نهي المرأة دخول حمامات البخار العامة:

- عن جابر أن النبي ﷺ، قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام بغير إزار، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام، ومن كان يؤمن بالله

---

(١) «المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها» (٢/ ٢٦).

(٢) «أعلام الموقعين» (٣/ ١٤٩)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ٣٦٤).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واليوم الآخر فلا يجلس علىٰ مائدة يدار عليها بالخمر»[١].

- عن عبيد الله بن أبي جعفر، أن عمر بن الخطاب، قال: لا يحل للمؤمن أن يدخل الحمام إلا بمنديل، ولا مؤمنة إلا من سقم، فإني سمعت عائشة تقول: إن رسول الله ﷺ كان يقول: «أيما امرأة وضعت خمارها في غير بيتها فقد هتكت الحجاب فيما بينها وبين ربها»

والرجل قد أبيح له دخوله بمئزر، والمرأة من قرنها إلىٰ قدمها عورة فاحتيط لهن أن لا يدخلن إلا من سقم[٢].

رابعًا: الأمر بغض البصر:

وهذا أمر مطلوب من الجنسين الرجال والنساء لقوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

يقول ابن القيم:

«أما اللحظات: فهي رائد الشهوة ورسولها، وحفظها أصل حفظ الفرج، فمن أطلق بصره أورده موارد الهلكات. وقال النبي: «لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولىٰ وليست لك الأخرىٰ»، وقال ﷺ: «غضّوا أبصاركم واحفظوا فروجكم»، وقال ﷺ: «إياكم والجلوس علىٰ الطرقات قالوا يا رسول الله مجالسنا، ما لنا بدّ منها، قال: إن كنتم لا بد فاعلين، فأعطوا الطريق حقّه، قالوا: وما حقّه؟ قال: غض البصر، وكفّ الأذىٰ، ورد السّلام».

والنظر أصل عامة الحوادث التي تصيب الإنسان، فالنظرة تولد خطرة ثم تقوىٰ فتصير عزيمة جازمة، فيقع الفعل ولا بد، ما لم يمنع منه مانع. وفي هذا قيل: «الصبر علىٰ غض البصر أيسر من الصبر علىٰ ألم ما بعده».

ومن آفات النظر: أنه يورث الحسرات والزفرات والحرقات، فيرىٰ العبد ما ليس قادرًا

---

(١) «سنن الترمذي» ت بشار (٤/ ٤١٠).

(٢) «شعب الإيمان» (١٠/ ٢٠٨).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه ولا صابرًا عنه، وهذا من أعظم العذاب: أن ترىٰ ما لا صبر لك عن بعضه، ولا قدرة علىٰ بعضه(١).

خامسًا: تطهير العين من النظر المحرم إلىٰ المرأة الأجنبية:

وكذلك أمرت الشريعة **بتطهير العين من النظر المحرم إلىٰ المرأة الأجنبية**، أو منها إلىٰ الرجل الأجنبي عنها، ومن أجل ذلك أمر الله المؤمنين والمؤمنات بغض البصر: قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور].

يقول سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذه الآية:

إن الإسلام يهدف إلىٰ إقامة مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة، ولا تستثار فيه دفعات اللحم والدم في كل حين.. والنظرة الخائنة والحركة المثيرة والزينة المتبرجة والجسم العاري.... كلها لا تصنع شيئًا إلا أن تهيج ذلك السعار الحيواني المجنون! وإحدىٰ وسائل الإسلام إلىٰ إنشاء مجتمع نظيف هي الحيلولة دون هذه الاستثارة، وإبقاء الدافع النظري العميق بين الجنسين سليمًا.

سادسًا: النهي عن الخلوة بالمرأة الأجنبية:

لقد حرم الإسلام كذلك الدخول علىٰ النساء لغير محارمهن، كما حرم الخلوة بهن. وكل هذا تطهيرًا وتحصينًا لهذا المجتمع الفاضل مما يذهب بحميته علىٰ عرضه وغيرة عليه، فلا خلوة ولا ريبة، هذه روح الشرع الحنيف والمتأولون كل يوم قد يطلعون علينا بجديد.

عن عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والدخول علىٰ النساء» فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: «الحمو الموت»

يقول الشيخ مصطفىٰ البغا:

(إياكم والدخول علىٰ النساء) احذروا من الدخول علىٰ النساء غير المحارم ومنع الدخول يستلزم منع الخلوة من باب أولىٰ. (أفرأيت الحمو) أخبرني عن دخول الحمو علىٰ

---

(١) «أعلام الموقعين» (٣/ ١٥١)، و«إغاثة اللهفان» (١/ ٣٦٢).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المرأة، والمراد بالحمو أقارب الزوج من غير المحارم كالأخ والعم والخال وأبنائهم. (الحمو الموت) لقاؤه الهلاك لأن دخوله أخطر من دخول الأجنبي، وأقرب إلىٰ وقوع الجريمة؛ لأن الناس يتساهلون بخلطة الرجل بزوجة أخيه والخلوة بها؛ فيدخل بدون نكير فيكون الشر منه أكثر والفتنة به أمكن، ونهيه ﷺ الرجال عن الدخول علىٰ النساء لأنه ذريعة ظاهرة، وهذا محل إجماع ولو في باب من أبواب الخير والرشاد كإقراء القرآن وتعليم العلم، وقد حكىٰ الإجماع علىٰ ذلك الحافظان ابن حجر والشوكاني[١]

وهذا الحديث دال علىٰ فرض الحجاب، لأن النبي ﷺ حذَّر من الدخول علىٰ النساء، وشَبَّه ﷺ قريب الزوج بالموت، وهذه عبارة بالغة الشدة في التحذير، وإذا كان الرجال ممنوعين من الدخول علىٰ النساء وممنوعين من الخلوة بهن بطريق الأولىٰ، كما ثبت بأحاديث أخر، صار سؤالهن متاعًا لا يكون إلا من وراء حجاب، ومَن دخل عليهن فقد خرق الحجاب، وهذا أمرٌ عام في حق جميع النساء، فصار كقوله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] عامًا في جميع النساء[٢].

سابعًا: النهي عن وصف المرأة المرأة لزوجها:

- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «لا تباشر المرأة المرأة، فتنعتها لزوجها كأنه ينظر إليها»[٣].

قوله: (تباشر) من المباشرة وهي الملامسة في الثوب الواحد فتحس بنعومة بدنها وغير ذلك، وقد يكون المراد مطلق الاطلاع علىٰ بدنها مما يجوز للمرأة أن تراه ولا يجوز أن يراه للرجل. (فتنعتها) فتصفها. (كأنه ينظر إليها) لدقة الوصف وكثرة الإيضاح][٤]

ثامنًا: النهي عن طرق الرجل أهله ليلاً يتخونهم ويطلب عثراتهم:

- عن أنس رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ لا يطرق أهله، كان لا يدخل إلا غدوة أو عشية».

---

(١) «صحيح البخاري» (٧/ ٣٧) «أعلام الموقعين» (٣/ ١٦٣، ٢١)، «نيل الأوطار» (٣/ ٣٢٤).
(٢) «حراسة الفضيلة» (ص٥٠).
(٣) «صحيح البخاري» (٧/ ٣٨).
(٤) «صحيح البخاري» (٧/ ٣٩).

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(لا يطرق أهله) من الطروق وهو الإتيان بالليل يعني أنه لا يدخل علىٰ أهله ليلًا إذا قدم من سفر(١).

وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه قال: باب لا يطرق أهله ليلًا إذا أطال الغيبة، مخافة أن يخونهم أو يلتمس عثراتهم، لأجل أن لا يتهم بنسبة الخيانة إليهم. (يلتمس عثراتهم) يتهم بطلب زلاتهم والبحث عنها.

- عن جابر، قال: «نهىٰ رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلا يتخونهم، أو يلتمس عثراتهم»، (يتخونهم) يظن خيانتهم ويكشف أستارهم ويكشف هل خانوا أم لا(٢).

- **تاسعًا: النهي عن إشاعة الفاحشة في المسلمين:**

لما في إشاعتها من إضعاف جانب من ينكرها، وتقوية جانب الفسقة والإباحيين.... ولهذا صار عذاب هذا الصنف أشد من غيره، كما قال الله تعال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩] ومحبة إشاعة الفاحشة تنتظم جميع الوسائل القبيحة إلىٰ هذه الفاحشة، سواء كانت بالقول، أم بالفعل، أم بالإقرار، أو ترويج أسبابها، وهكذا.... وهذا الوعيد الشديد ينطبق علىٰ دعاة تحرير المرأة في بلاد الإسلام من الحجاب، والتخلص من الأوامر الشرعية الضابطة لها في عفتها، وحشمتها وحيائها.

- **عاشرًا: الاستئذان عند دخول البيت،** حتىٰ لا يقع النظر علىٰ عورة من عورات أهل البيوت، قال الله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النور].

الحادي عشر: تحريم إبداء المرأة زينتها للأجانب عنها:

ومن أجل أن يكون المجتمع المسلم نظيفًا، أمر الإسلام بعدد من الأوامر والنواهي، ليحفظ هذا المجتمع طاهرًا نقيًا، وتصبح مظاهر الغيرة فيه جلية ومن علامات هذا النقاء، أن فرض الله علىٰ المسلمات ستر مفاتنهن، وعدم إبداء زينتهن، يقول تعالىٰ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ

---

(١) «صحيح البخاري» (٣/ ٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٧/ ٣٩).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

الثاني عشر: الأمر بالاستعفاف لمن لا يجد ما يستطيع به الزواج وفعل الأسباب:

والقرآن العظيم والسنة المشرفة مملوءان من تشريع الأسباب والتدابير الواقية من الوقوع في هذه الفاحشة في حق الرجال وفي حق النساء معًا، فمنها في حق الرجال مع الرجال:

وجوب ستر عورة الرجل، فلا يجوز للرجل كشف عورته من السرة إلى الركبة.

ومنها: حجب نظر الرجل عن النساء الأجنبيات.

ومنها: حجب الرجل عن مجالسة المُرْدَان من الذكور، والنظر إليهم تلذذًا.

ومنها في حق النساء مع النساء.

ومن أعظم الأسباب والتدابير الواقية من الزنى: فرض الحجاب على نساء المسلمين، لما يحمله من حفظهن وحياتهن في عفة وستر وصون وحشمة وحياء، ومجافاة للخنا، وطرد لنواقضها من التبذل والتسفل، وانتزاع الحياء(١).

الثالث عشر: النهي عن الغناء والاستماع إليه من مغنية أو مغني:

- عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا تجارة فيهن، وأكل أثمانهن حرام**»(٢).

وفي هذا الحديث حراسة للغيرة على الأعراض إذ أن من شأن المغنيات أنهن داعيات للفاحشة مهيجات للشهوات مما يقتل الغيرة على العرض.

الرابع عشر: النهي عن نكاح المحارم:

- عن يزيد بن البراء، عن أبيه، قال: لقيت عمي ومعه راية، فقلت له: أين تريد؟ قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى رجل نكح امرأة أبيه، فأمرني أن أضرب عنقه، وآخذ ماله»(٣).

(١) «حراسة الفضيلة» (ص٧٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢٨٧).
(٣) «سنن أبي داود» (٤/ ١٥٧) صححه الألباني.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

انظر كيف غار النبي ﷺ علىٰ حرمة الشريعة وحرمة العرض.

الخامس عشر: نهي المرأة عن الخروج إلي المسجد إذا ترتب علىٰ خروجها فتنة.

- عن ابن عمر، قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في الجماعة في المسجد، فقيل لها: لم تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله».

والمراد بـ (إماء الله) جمع أمة وهي المرأة المملوكة والمراد النساء مطلقًا فهن مملوكات لله تعالىٰ من شأنهن أن يقمن بعبادته ويلزمن طاعته ويدخلن بيوته][1].

يقول الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين:

كان النساء يصلين مع النبي ﷺ حرصًا علىٰ الاقتداء به، وحرصًا علىٰ مضاعفة الصلاة، وحرصًا علىٰ الصلاة في المسجد، ولكن كُنَّ محتشمات في غاية التستر، كما قالت عائشة: (كان نساء يشهدن الفجر مع رسول الله ﷺ متلففات بمروطهنَّ، ينصرفن ولا يعرفهنَّ أحد من الغلس) وكونها متلففة، أي: مرتدية بردائها بحيث إنها تخرج متسترة في غاية التستر.

كما ثبت أيضًا أنه حث النساء علىٰ البعد عن الرجال، وحث الرجال علىٰ البعد من النساء، فقال عليه الصلاة والسلام: «خير صفوف الرجال أولها، وشرها آخرها»، يعني: أن آخرها أقرب إلىٰ النساء فهو شرها، «وخير صفوف النساء آخرها، وشرها أولها»، لما كان أولها قد يتصل بصفوف الرجال أو قد يراه المتأخرون من الرجال كان شرها، وكان خيرها آخرها لكونه بعيدًا عن الرجال، وهذا فيما إذا كان النساء متصلة صفوفهن بصفوف الرجال، وليس بينهم شيء من الحواجز، فمثل هذا يكون آخر صفوف النساء خيرها، أما إذا كان بينهم حاجز منيع -كما في هذه الأزمنة حيث يستمعن الصلاة بواسطة المكبر ولو كن بعيداً- فنرىٰ أن صفوفهن كصفوف الرجال، يعني: أن أولها خيرها لعدم الاختلاط.

---

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ٦) [تعليق مصطفى البغا].

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في هذا الحديث أن ابن عبد الله بن عمر كأنه حملته الغيرة علىٰ نسائه فهمّ أن يمنع امرأته أو يمنع نساءه من المسجد، وكأنه رأىٰ أن خروج النساء فتنة، فقال: (والله لنمنعهنَّ)، ولما تكلم كلاماً بدون تأدب ويظهر منه الاعتراض علىٰ الحديث؛ غضب والده وسبه علىٰ هذا الاعتراض، إذ كيف يعترض علىٰ قول النبي ﷺ اعتراضاً بدون مقدمات؟! ومعلوم أنه رحمه الله إنما حملته الغيرة، وقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (لو رأىٰ رسول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهنَّ المساجد كما منعت نساء بني إسرائيل)، وذكرت عائشة أن النساء في زمنها أحدثن أشياء تستحق المرأة أن تُمنع لأجلها، وكأنها رأت شيئاً من التجمل ومن اللباس ومن التعطر الذي قد يخشىٰ منه الفتنة، وذلك لأن خروج النساء فتنة كما ورد في قوله ﷺ: «**إنكنَّ تفتنَّ الحي وتؤذين الميت**» .

فخروجها إذا كان في زمن قد استتب فيه الأمن، وقد عرف الناس فيه الحق وعملوا به، ولم يكن هناك شيء من الخوف، وكان الناس علىٰ جانب متين من الديانة، وكان الرجال معهم الورع، ومعهم الخوف من الله تعالىٰ، والنساء معهنَّ الاحتشام والتستر والبعد عن الاحتكاك بالرجال والبعد عن الفتنة وأسباب الفتنة من التعطر والتجمل والتكشف والتطيب وما أشبه ذلك، إذا كان ذلك كذلك فإنها تخرج، فأما إذا تغيرت الحال -كما ذكرت عائشة - فإن الأولىٰ أن تجلس في بيتها كما نص علىٰ ذلك العلماء وكما ورد في بعض الأحاديث، ففي حديث أنه عليه الصلاة والسلام قال: «صلاتها في مسجد حيها أفضل من صلاتها في المسجد الكبير -الجامع-، وصلاتها في سوقها أفضل من صلاتها في مسجد حيها، وصلاتها في رحبة دارها أفضل من صلاتها في مسجد الحي، وصلاتها في أقصىٰ حجرتها أفضل من صلاتها في رحبة بيتها» فكانت المرأة تتحرىٰ أظلم مكان في بيتها فتصلي فيه ولو أنها متسترة[1].

(١) «شرح عمدة الأحكام» لابن جبرين (٩/ ٩).

الجديد و الطريف NEW & EXCLUSIVE

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فصل

الوسائل المُعِينَة على إيقاظ الغيرة

يمكن أن تُنَمىٰ الغيرة بأمور كثيرة ومنها:

١ - تربية البنات الصغار علىٰ الحشمة والحياء في اللباس وغيرهما، عن زيد بن طلحة بن ركانة يرفعه إلىٰ النبي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل دين خلق، وخلق الإسلام الحياء**»(١).

٢ - تربية الأولاد علىٰ الغيرة، بأن نجعل الولد هو الذي يقوم بالحديث مع البائع وليست البنت أو المرأة، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «**ما من أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، وما أحد أحب إليه المدح من الله**»(٢).

٣ - عدم ترك الأسباب التي تدمر الغيرة، فلنخرج الأطباق والشاشات والمجلات الهابطة من البيوت وغيرها من وسائل الهدم، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ قال: «**يا أمة محمد، ما أحد أغير من الله أن يرىٰ عبده أو أمته تزني، يا أمة محمد، لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**»(٣).

٤ - الرجوع إلىٰ قيم الدين وغرسها في نفوس الناس، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد علىٰ الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟» ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ

---

(١) موطأ مالك ت الأعظمي (٥/ ١٣٣٠)

(٢) صحيح البخاري (٧/ ٣٥)

(١) صحيح البخاري (٧/ ٣٥)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠][(١)].

٥ - التأكيد علىٰ دور الرجل وقوامته علي امرأته، بوب البخاري باب قول الله تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤]- إلىٰ قوله - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: ٣٤].

قال الشيخ مصطفىٰ البغا معلقًا علي هذه الآية: (قوامون) يقومون بأمرهن آمرين لهن وناهين كما تقوم الولاة علىٰ الرعايا. (بما فضل الله) بسبب ما جعل الله تعالىٰ في كل من المرأة والرجل من خصائص وقد اختص الرجل بمزيد الروية والتعقل والقدرة والجلد وتتمتها ﴿وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:٣٤].

(وبما أنفقوا) بسبب ما أدوه من مهر وما يؤدونه من نفقة المسكن والملبس والمأكل ونحو ذلك. (فالصالحات) المؤمنات المحسنات. (قانتات) مطيعات. (حافظات للغيب) صائنات لنفوسهن في غيبة أزواجهن كما يصنها في حضرتهم. (بما حفظ الله) كما أمر الله تعالىٰ ومقابلة لوصية الله تعالىٰ بهن وأمره الرجال بحفظهن والإحسان لهن. (نشوزهن) عصيانهن. (المضاجع) جمع مضجع وهو الفراش والمراد ترك الجماع. (اضربوهن) ضربا خفيفا يقصد به التأديب حيث لم تجد كل الوسائل من النصح والهجر والإصلاح وغير ذلك في ردها عن جموحها ومخالفتها. (أطعنكم) في أداء ما وجب عليهن في طاعة الله ﷻ. (فلا تبغوا عليهن سبيلًا) فلا تطلبوا مسلك من المسالك لإيذائهن بالضرب أو التوبيخ ظلما. (عليًّا كبيرًا) أقدر منكم وسلطانه عليكم أشد من سلطانكم علىٰ نسائكم فاحذروا مخالفته ولا تظلموهن[(٢)].

٦ - توعية المجتمع توعية شاملة بجميع وسائل الإعلام والخطب والمحاضرات، بوب البخاري باب: ﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦] ، عن عبد الله، قال النبي ﷺ:

---

(٢) صحيح البخاري (٢/ ٩٥) (لا تبديل لخلق الله) لا تفاوت بين الناس في أصل خلقتهم ولا يستطيع أحد أن يغير طبيعة نفوسهم حقيقة. (القيم) المستقيم والمقوم لأمور الناس].

(١) صحيح البخاري (٧/ ٣٢)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

«كلكم راع وكلكم مسئول، فالإمام راع وهو مسئول، والرجل راع علىٰ أهله وهو مسئول، والمرأة راعية علىٰ بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع علىٰ مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول»(١).

٧ - تعظيم قدر الأعراض والتوضيح أن المساس بها هلاك وضياع، عن موسىٰ بن زيد بن حذيم بن عمر السعدي، عن أبيه، عن جده، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم عرفة في حجة الوداع: «اعلموا أن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، كحرمة شهركم هذا، وكحرمة بلدكم هذا»(٢).

٨ – فرض القوامة علىٰ المرأة في أن لا تخرج من بيت الرجل إلىٰ مجتمعات الرجال، فتخالطهم في الحفلات أو السهرات العائلية، وغير العائلية، وفي الأسواق، ووسائل المواصلات، والمحلات التجارية، عن عائشة، أن أزواج النبي ﷺ كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلىٰ المناصع وهو صعيد أفيح «فكان عمر يقول للنبي ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل»، فخرجت سودة بنت زمعة، زوج النبي ﷺ، ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر: ألا قد عرفناك يا سودة، حرصا علىٰ أن ينزل الحجاب، فأنزل الله آية الحجاب.

عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: «قد أذن أن تخرجن في حاجتكن» قال هشام: يعني البراز(٣).

---

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢٦)

(٢) السنن الكبرىٰ للنسائي (٤/ ١٥٦)، الغيرة علىٰ المرأة، عبد الله المانع (ص: ٢٣٥) نقلًا عن شريط (الغيرة علىٰ الأعراض) لخالد السبت، بتصرف. حسان محمد العتيبي (ص ١٤١) نقلًا عن (تهذيب الغيرة عند المرأة)) لمازن الفريح.

(٣) صحيح البخاري (١/ ٤١).

قال الشيخ مصطفىٰ البغا: (المناصع) جمع منصع وهو الموضع الذي يتخلىٰ فيه لقضاء الحاجة وهي هنا أماكن كانت معروفة من ناحية البقيع سميت بذلك لأن الإنسان ينصع فيها أي: يخلص من النصوع وهو الخلوص والناصع الخالص. (صعيد أفيح) الصعيد وجه الأرض والأفيح الواسع. (آية الحجاب) أي: آيات الحجاب وحكمه ومنها قوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن =

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وعن علي ﷺ قال: بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج في الأسواق، ألا تستحيون؟ ألا تغارون؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال![1].

=

يُؤْذَنَ لَكُمْ ...﴾ [الأحزاب ٥٣]. ومنها قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب]. (يدنين) يرخين ويغطين الوجوه والمعاطف. (جلابيبهن) جمع جلباب وهو ما تتغطىٰ به المرأة ويستر من فوق إلىٰ أسفل. (ذلك أدنىٰ. .) أي: هذا الستر أولىٰ وأجود للعفيفات الشريفات حتىٰ يعرفن به ويتميزن عن الفاجرات الساقطات فيهابهن الفساق فلا يتعرض لهن أحد منهم بأذىٰ أو مكروه]

(٢) عودة الحجاب (٢/ ٣٩١).

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بطاقة تعريف

الكنية: أبو بشير السعدي.

الاسم: سعيد علي أحمد سعد.

تاريخ الميلاد: ١٦/ ٦/ ١٩٦٨.

المهنة: عضو هيئة العلماء.

الجهة: الجمعية الشرعية بمصر.

❑ **المصنفات الشرعية:**

١ – العذر بالجهل عند أهل السنة.

٢ – ما لا يسع المخالف جهله.

٣– ظاهرة ضعف الغيرة.

٤ – كشف الستر عن حكم القيمة في زكاة الفطر.

٥ – المعالم الأخلاقية من غزوات الرسول ﷺ وسراياه.

٦ – اغتنام الأوقات الخالية في نجاح حياة الداعية.

٧ – الدر الثمين في تفسير سورة يس.

٨ – الاسورة النحاسية بين الطب والشريعة.

٩ – المجموع الثمين في أحكام النذر واليمين.

١٠ – العظمة في أخلاق الطلبة.

❑ **الكتب التي قمت بشرحها:**

أولًا: العقيدة:

١ – كشف الشبهات.

٢ – ثلاثة أصول والمشهور بالأصول الثلاثة.

٣– فضل الإسلام وجميعها لشيخ الإسلام الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.

٤ – فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥- لمعة الاعتقاد لابن قدامة المقدسي.

٦- الإيمان لابن منده (ولم يكتمل).

٧ - الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٨ - العقيدة الواسطية.

٩- العقيدة السفارينية.

١٠- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١١- التوسل للألباني.

١٢- معارج القبول لحافظ حكمي.

ثانيا: أصول الفقه:

١- الورقات للإمام الجويني.

٢- الأصول من علم الأصول للعلامة ابن عثيمين.

٣ - الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (ولم يكتمل).

٤ - مذكرة في أصول الفقه للإمام الشنقيطي.

٥- القواعد الكبري للعز بن عبد السلام (ولم يكتمل).

٦- غاية المأمول في شرح ورقات الأصول للإمام الرملي.

ثالثا : الفقه الحنبلي:

١- دليل الطالب.

٢- عمدة الطالب.

٣- منتهي الإرادات (ولم يكتمل).

٤- الكافي ولم يكتمل (ولم يكتمل).

٥ - نيل المارب للعلامة البسام.

٦ - نيل المارب للحنبلي .

ومن الفقه العام :

٧ - الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ولم يكتمل).

رابعًا: علوم القرآن الكريم:

١- مباحث في علوم القرآن للشيخ القطان.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢ – غاية المريد في علم التجويد للشيخ عطية قابل نصر.

٣ – تفسير سورة يس.

٤ – تفسير سورة الصافات .

٥ – تفسير آية الكرسي لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٦ – تفسير سورة الفاتحة لابن القيم.

٧ – القواعد الحسان في تفسير القرآن للسعدي .

خامسًا: الحديث:

١ – الموقظة في علم الحديث للإمام الذهبي.

٢ – علم الحديث للإمام أبي عمرو عثمان الداني.

٣– مقدمة ابن الصلاح.

٤ – نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر.

سادسًا: كتب عامة:

١ – حلية طالب العلم للعلامة بكر أبو زيد.

٢ – جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر.

٣ – الأدب المفرد للإمام البخاري (ولم يكتمل).

٤ – مفتاح دار السعادة لابن القيم (ولم يكتمل).

البريد الإلكتروني: elsaaedy@gmail.com

العنوان: جمهورية مصر العربية أسوان – إدفو الرمادي قبلي الكرابلة فوق.

الهاتف المحمول: ٠٠٢٠١١٥٥٣٠٩٣٠٩

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الفهرس

استهلال ٣

مقدمة ٥

فصل: مفهوم الغيرة ومقاصدها وأنواعها ١١

من مقاصد الغيرة ١٦

١- تقوية الإيمان بالله ١٦

٢- حفظ أعراض المسلمين وأنسابهم ١٨

٣- حماية الحجاب، ودفع التبرج والسفور والاختلاط ١٨

٤- حماية القلب، فتحمي له الجوارح ١٩

٥- الحمية والغضب لله إذا رأى حرمات الله تنتهك ١٩

٦- تطهير المجتمع من الرذائل ٢٠

٧- تنشئة الأبناء على الأنفة والحمية لحفظ العرض ٢٠

أنواع الغيرة ٢٢

١- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٥

٢- عدم تعظيم الكفار والركون إليهم ٢٥

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

٣- الفرح بزوال الظلم والظلمة ٢٦

فصل: مظاهر الغيرة عند العرب في الجاهلية ٣٠

فصل: مظاهر ضعف الغيرة ٣٥

فصل: أسباب ضعف الغيرة ٥٠

فصل: غيرة الأنبياء وغيرة السلف الصالح ٧٠

غيرة الأنبياء عليهم السلام ٧٠

غيرة الصحابة رضي الله عنهم ٧٤

فصل: سد الذرائع المفضية إلىٰ ضعف الغيرة ٨٩

من الوسائل التي اتخذتها الشريعة غيرة علىٰ الأعراض ٩٢

فصل: الوسائل المعينة علىٰ إيقاظ الغيرة ١٠١

بطاقة تعريفية بالمؤلف ١٠٥

الفهرس ١٠٨

هذا الكتاب منشور في